علماء ومفكرون معاصرون

لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم

١٩

سعيد الأفغاني

حامل لواء العربية وأستاذ أساتيذها

تأليف

الدكتور مازن المبارك

دار القلم

دمشق

١٩

علماء ومفكرون معاصرون

لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم



سعيد الأفغاني

١٣٢٧ ـ ١٤١٧هـ

١٩٠٩ ـ ١٩٩٧م

حامل لواء العربية وأستاذ أساتيذها

تأليف

الدكتور مازن المبارك

دار القلم

دمشق

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

تُطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

«في طبعي هيام بالحرية والصراحة، وكثيراً ما أنكب الطريق الأسلم في سبيل الجهر بما أرى أنه الحق في العقائد والأشخاص، متحملاً بصبرٍ وطمأنينة ما أجرّ على نفسي من عناءٍ وعداءٍ.. وهذا بلاءٌ حتمٌ لا مفرَّ منه لمن خُلِقَ حرّاً صريحاً، ولو حاول غير ذلك ما استطاع».

محمد سعيد الأفغاني

«سعيد الأفغاني أنموذجٌ رائعٌ في العصر الحديث للرجل غير العربيّ يصهره الإسلام، فيجعله مسلمَ العقيدة والسلوك، عربيَّ الثقافة والهوى واللسان».

مازن المبارك

المقدّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

اللهمَّ سدِّد ألسنتنا وأقلامنا، وارزقنا الحكمة، وحَلِّنا بالصدق واجعل عملنا خالصاً لك، وثبِّتنا على الحق ما حيينا.

وبعد: فإذا كانت المطالعة في كتب التراجم، وقراءة أخبار الرجال؛ من أمتع ما نطالع وأكثره فائدة وعبرة، فإن الكتابة عن الرجال ووصفهم وإطلاق الأحكام عليهم من أصعب ما يكتبه من يقدّر ثقل المسؤولية وعبء الأمانة.

إنك إذا كتبت عمّن تحب فأنت على خطر الميل مع الهوى والانحراف، وإذا كتبت عمّن تكره فأنت في خطر الغبن والإجحاف، كيف وقد قرأنا لمن كتب عن الأشجار فجعلها حوراً، وقرأنا لمن كتب عن الجبل فجعله شيخاً وقوراً؟!.

وأنت في جميع الأحوال ـ حين تكتب عن رجل من الرجال ـ إنسانٌ يكتب عن إنسان.

وأنا اليوم أكتب عن رجل علَّمني علماً، ولقَّنني حكمة، وأفادني تجربة.

أكتب عن رجل علّم وألّف، وحقّق ونشر، ونشر عاطفته وشعوره في كثير مما كتب.

أكتب عن رجل كان هواه مع العربية والإسلام، لغة وثقافة وعقيدة وسلوكاً.

أكتب عن رجل صحبتُه نصف قرن تلميذاً وزميلاً وصديقاً، فما آذتني منه كلمة، ولا آذاني منه سلوك.

إني أكتب اليوم عن أستاذي (سعيد الأفغاني) رحمه الله وأجزل مثوبته. وسأكتب متمثلاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وإني لأحمد الله على أن مدَّ في العمر حتى أنجزتُ هذه الصفحات، وأتيتُ بها عرفاناً ووفاءً لأستاذي سعيد الأفغاني؛ فقد أنشأ أجيالاً تعلّم أكثرها على يديه، واقتدى به، وسار ناشئوها على دربه، حباً للعربية، وإتقاناً لها، ودفاعاً عنها، وصلابة في الحق، واستقامة في السلوك.

ومن الحق أن أشكر من أعانني على بلوغ غايتي، ووضع يدي على كثير من مكتبة أستاذي رحمه الله، وهي ابنة أستاذي السيدة بشرى حفظها الله، فقد أطلعتني على مسوّدات كثير مما نشر ومما لم ينشر من مقالاته، ووضعت بين يديَّ مجموعة من الرسائل الخاصة التي احتفظ بها، فشكر الله لها وأجزل ثوابها.

والشكر لدار القلم التي قامت على إصدار هذا الكتاب ونشره بما عُرِفَ عنها وعن صاحبها من دقة في الطباعة وذوق في الإخراج.

ورحم الله الأستاذ سعيداً الأفغاني في المعلمين المربين، ورضي عنه في المؤمنين الصادقين، وأجزل ثوابه في العلماء العاملين المخلصين.

وبعد، فقد كتب. . . الأستاذ سعيد الأفغاني ـ رحمه الله ـ عن نفسه فقال:

«في طبعي هيام بالحرية والصراحة، وكثيراً ما أنكب الطريق الأسلم في سبيل الجهر بما أرى أنه الحق في العقائد والأشخاص، متحملاً بصبر وطمأنينة ما أجرّ على نفسي من عناء وعداء. وهذا بلاءٌ حتمٌ لا مفرّ منه لمن خُلق حرّاً صريحاً، ولو حاول غير ذلك ما استطاع».

هذه كلمات وصف أستاذي الأفغاني بها نفسه، وهي كلمات تنطبق عليه حقاً وصدقاً؛ فلقد صحبتُه مدةً تزيدُ على نصف قرن، وعرفته في حالاته جميعها؛ من سرور وحزن، ورضى وسخط، ويسر وعسر، وسعة وضيق، وإقامة وسفر.. فإذا هو في جميعها واحد لا يتغير ولا يتبدل، لا يطغيه نصر أو سرور، ولا يقنطه يأس أو يستبدّ به حزن، إنه الرجل الحرّ الصريح في جميع المواقف.

وهذه الصفحات صفحات أكتبها عنه، وقد مضى إلى رحمة ربه، لا أريد بها مجاملة له، ولا محاباة لحزبه، وقد كان حزباً وحده! ولكم كان يشكو قلة النصير وخذلان العشير، ثم يمضي منفرداً يعلن رأيه، ومنفرداً يتخذ موقفه، لا يثنيه عن إعلان الحق الذي يعتقده شيء، ولا يغريه شيء، ولا يخيفه شيء..

رحم الله أستاذي الأفغاني، فلكم كنتُ أذكر حين أرى ما أدّاه إليه موقفه وثباته على الحق ما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: عن سيدنا رسول الله ﷺ من قوله: «لا يجدُ امرؤ حلاوة الإيمان في قلبه؛ حتى يُؤثر الحقَّ حيث يضرُّهُ على الباطل حيثُ ينفعُه».

وهي صفحات أكتبها للتاريخ عن رجلٍ لم يعد يجديه المدح أو يضرّه الهجاء، وإنما يؤخذ على كاتبها صدقُه أو عدمه، لأنها شهادة يؤديها وأمانةٌ يسأل عنها.

وقد علّمني ـ رحمه الله ـ يوم كان عميداً لكلية الآداب، واستدعاني ليسألني عن موضوع يحقّق فيه؛ فقال لي: ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وأنا اليوم أكتب عن رجل أعرفه، وأكتب مما أعرف، لا أنقل عن كتاب فأعزو إليه أو أوثق حديثي منه، ولكني أغمِسُ قلمي في عاطفة شدّتني إليه، لما رأيته فيه من رجولةٍ وعلمٍ وفضلٍ، ولما عرفتُه من جرأته وصراحته، وما شهدتُه من سلوكه واستقامته، وترفّعه عن الصغائر، وعدم مبالاته بما ينبهر به غيرُه، أو يسعى إليه أو يلهث وراءه، من التقرّب من الكبراء وأصحاب المناصب. . على أن أحكامي لن تكون إلى العاطفة أكثر مما هي إلى الحق والإنصاف.

ثم إن الأستاذ الأفغاني ترك آثاره تتحدث عنه وتشهد له، وأنتَ واجدٌ فيها كل ما حدّثتك عنه من جرأته وصراحته واستقلاله في الرأي أو الحكم، وواجد فيها كثيراً من جوانب حياته ومعاناته؛ فلقد كان ينفّس ببعض جمل يبثها هنا وهناك، وببعض حواشٍ وتعليقات يعبر فيها عما في نفسه من ضيق بأكثر أهل زمانه، وأدعياء معاصريه ممن يستغلون الدين أو المنصب!.

ولقد أردتُ فيما كتبتُ أن يعرف الناسُ أن الأستاذ الأفغاني ليس معلّم عربية أو أستاذ نحوٍ فحسب، ولكنه مرشد ومربٍّ، وذو ثقافة إسلامية وعربية واسعة، وليست كتبه في النحو بأحسن في بابها من كتبه عن أسواق العرب وابن حزم والسيدة عائشة في أبوابها.

لقد كان رحمه الله ذا ثقافة عربية إسلامية أصيلة، ولقد ترك في هذه الثقافة من الآثار ما يدل على أنه رجل عرَّبه الإسلام ـ كما عرّب الكثيرين من

علماء العربية من قبلُ ـ فقدّم للعربية لغة وثقافة ما لم يقدمه لها الكثيرون من أبنائها.

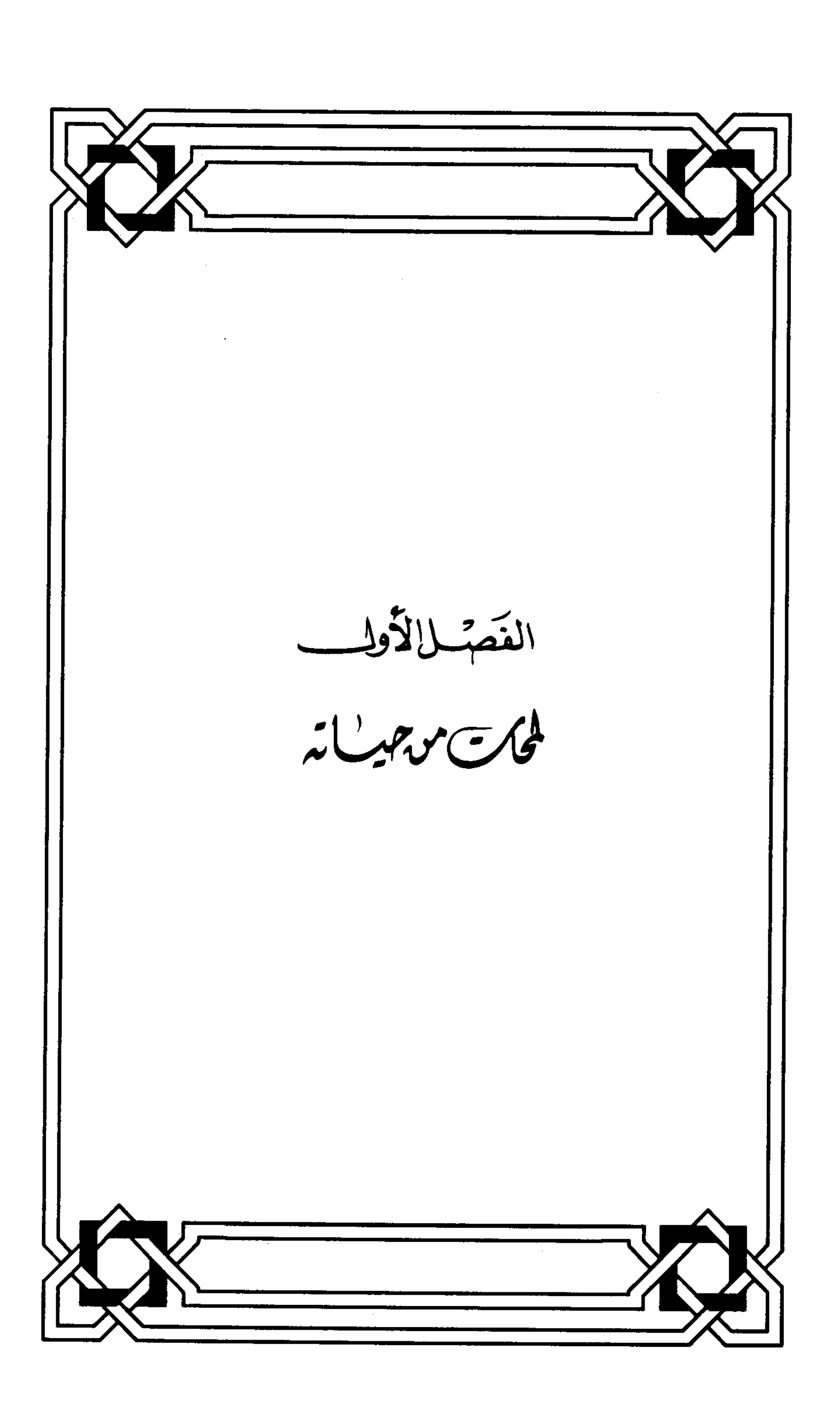
وقد عرضت في صفحات هذا الكتاب حياته بجانبيها الرسمي الوظيفي، والاجتماعي. ووثّقت ما استطعتُ بصور ورسائل ومصدّقات رسمية. ثم عرضتُ آثاره المؤلفة والمحقّقة، عرضاً يعرّف بها وبطبعاتها، ويوجز مضمونها، ثم أتبعتُ ذلك بالإشارة إلى بعض ما نشر رحمه الله من بحوثٍ ومقالاتٍ. وختمت بملحق للوثائق.

وإني لأرجو أن أكون في كل ذلك قد وفّيتُ لأستاذي ببعض أياديه عليّ، وأن أكون فيما لخّصتُ من آثاره سبباً في أن يعرف من يعرفون الأستاذ الأفغاني النحوي أنه ليس نحوياً فحسب، ولكنه صاحب مؤلفات جليلة عن الإسلام والمرأة، وعن ابن حزم، وعن السيدة عائشة، وعن أسواق العرب... وصاحب تحقيقات لكتب جليلة كثيرة. فإن يكُن ما قدمت كافياً فبفضل ربي، وإن كان غير ذلك فمن تقصيري، والحمد لله على كل حال.

دبي: ١٥/ ٨/ ١٤٢٢هـ
١/ ١١/ ٢٠٠١م

مازن المبارك





الفصل الأول

لمحات من حياته



الفصل الأول

لمحات من حياته

ولادته ونشأته

هو محمد سعيد بن الحاج محمد جان الأفغاني، هاجر والده من كشمير[١] وهو في العشرين من عمره، ونزل في دمشق، واشتغل في حي (البزورية)، وسكن في حي من أحياء دمشق القديمة هو حي العمارة الجوّانية. وتزوج من أسرة شامية من بيت (الأبيض)، ورزق بابنه (محمد سعيد) الذي ولد في عام (١٩٠٩م)، ثم رزق بعد سنتين بابنة توفيت أمها بعد ولادتها.

وقام الأب على تربية ولديه، وكان متديّناً صالحاً، يتردد على بعض الدروس في المسجد الأموي القريب من مكان عمله، ويحضر دروس (الشيخ بدر الدين الحسني) تحت قبة النسر في المسجد الجامع، وقد ذكره الأستاذ الطنطاوي في ذكرياته فقال: إنه كان على صلاحه وتقواه لا يُحْسِنُ العربية[٢]. وقال مرة أخرى في حديثه عن الأستاذ الأفغاني: «كان أبوه الرجل الصالح العابد من كشمير لا يكادُ يحسنُ العربية، وصار هو اليوم المرجعَ في علوم العربية والحجّة فيها»[٣].

---

(١) كانوا يلقّبون القادمين من كشمير بالأفغان، لأنها قديماً كانت تابعة للأفغان، ولم تدخل في الحكم الهندي إلا في عام ١٥٨٧م، ومع ذلك فقد بقيت نسبتها القديمة.

(٢) الذكريات: ١/ ١١٣.

(٣) المصدر السابق: ٥/ ١٢.

وكان الطفل كثيراً ما يذهب إلى المسجد الأموي، إما برفقة والده، وإما حين يقطعه من بابه الشمالي إلى بابه الجنوبي أو العكس؛ لأن بيته في حي العمارة ـ زقاق السبع طوالع ـ شمالي المسجد، ومكان عمل والده في حي البزورية جنوبي الجامع.

واتخاذُ المسجد طريقاً عادةٌ ألفها أطفالُ الأحياء المحيطة بالمسجد، وقد كنتُ واحداً منهم أقطعُ المسجد من بابه الغربي (في سوق المسكيّة) إلى بابه الشرقي (في حي النوفرة)، أو من بابه الشمالي (في حي الكلاّسة) إلى بابه الجنوبي (قرب البزورية) وبالعكس، إذ كنا نسكن في الحي الذي سكن فيه الأستاذ الأفغاني من قبلُ، وكنا نفخر بذلك على رفاقنا؛ لأن (الحسكي) ـ وهو اسم بوّاب المسجد وحارسُه عند أهل الشام ـ يسمح لنا بدخول المسجد من دونهم لما يتوسّمه فينا من حسن السلوك.

* * *

رحلته العلمية

في هذه البيئة الشامية الإسلامية، في أحياء البزورية والنوفرة والقَيْمَريّة والعمارة، المحيطة بالجامع الأموي، نشأ الطفل محمد سعيد الأفغاني، وتفتحت عيونه على الكتاتيب المنتشرة في تلك الأحياء، والتي أدركها كاتبُ هذه الكلمات، كما تفتحت عيونُه على ما كان يشاهدُ في الجامع الأموي من دروس لا تنقطعُ طوال النهار.

وفي هذه الدروس المسجدية عرف أستاذه (الشيخ أحمد النويلاتي)، وفي حلقة هذا الشيخ عرف صديقه (الشيخ علي الطنطاوي).

أما الشيخ النويلاتي فعالم دمشقيٌّ عاملٌ، ومصلح فاضلٌ (توفي سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، قرأ على الشيخ طاهر الجزائري، وتأثر بآرائه الإصلاحية في نقد المجتمع ومحاربة الفساد في جميع ميادينه الاجتماعية والفكرية والثقافية والدينية، وهو ما نشأ عليه تلميذه الأفغاني، وبدا واضحاً في فكره وسلوكه. وقد جاء في ترجمة الشيخ النويلاتي[(١)] أنَّ «تلاميذه كثرٌ، ومنهم سعيد الأفغاني؛ قرأ عليه العربية وعلوم الدين، وأفاد منه فائدة لا تقدَّر»[(٢)].

وأما صديقه الشيخ علي الطنطاوي فسأفرِدُ لصلته به فصلاً خاصاً لما في تلك الصلة من تميز وفائدة.

وبدأ محمد سعيد الأفغاني تعليمه الرسمي منذ طفولته، حين سجله

---

(١) ترجمة الشيخ أحمد النويلاتي في كتاب: (تاريخ علماء دمشق)، للأستاذين مطيع الحافظ ونزار أباظة: ١/ ٥١١ـ٥١٤.

(٢) تاريخ علماء دمشق: ١/ ٥١٢.

والده في مدرسة الإسعاف الخيري، وهو يذكر تلك المرحلة المبكرة من حياته فيقول: «وكنتُ طفلاً في السابعة من عمري في مدرسة الأمينية والإسعاف الخيري (كانتا مندمجتين في ذلك التاريخ) آخر العهد التركي، فأذكر أن المدير وبعض المدرسين يلتزمون الفصحى دأباً في حوارهم معنا، وفي إلقاء الدروس، وفي التنبيهات العامة حين يجمعون الطلاب صباحاً وقبل الانصراف مساءً. وحين يقرأ التفقد صباحاً كان المقروءُ اسمه يجيب بـ(لبّيك)، وحين يجيب الداخلون حديثاً في المدرسة بما ألفوا في مدارس الحكومة وهي كلمة (أفندم) يصرخ بهم المدير، وينظر إليهم الطلاب شزراً، كأنهم كفروا بالله، فسرعان ما يستدركون بـ(لبّيك) وتمرّ العاصفة»[1].

ودخل مدرسة التطبيقات حيث أتم دراسته الابتدائية، ثم تابع دراسته الإعدادية والثانوية بعد ذلك في مدرسة التجهيز ودار المعلمين، وكانت إذ ذاك تحمل اسم (مكتب عنبر)، وقال ذاكراً تلك المرحلة من حياته: «دخلتُ مدرسة التجهيز ودار المعلمين تلميذاً بعد الاحتلال بعامين، وقد جمع طلاب الثانوية وطلاب دار المعلمين على منهج واحد» وقال: إنه وجد في المدرسة ثلاثة من أعلام اللغة هم: الشيخ عبد الرحمن سلام، والشيخ محمد سليم الجندي، والشيخ محمد الداودي، ثم أضيفَ إليهم الأستاذ محمد البزم»[2].

وذكر أنه كان في سنة (١٩٢٧م) تلميذاً ليلياً ـ أي داخلياً ـ في مدرسة التجهيز ودار المعلمين (مكتب عنبر) وتحدث عن بعض ذكرياته في تلك المدرسة[3].

---

(١) حاشية، ص٣٠ من كتاب (حاضر اللغة العربية في بلاد الشام).

(٢) من: حاضر اللغة العربية في بلاد الشام، ص٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص٨٤؛ وانظر كتاب (مكتب عنبر)، للأستاذ ظافر القاسمي؛=

وتخرج في شهر أيار (مايو) من عام (١٩٢٨م)، والتحق بمدرسة الآداب العليا في الجامعة السورية، وكان مديرها الأستاذ (شفيق جبري)، ومن أساتذتها الأستاذ سليم الجندي والشيخ عبد القادر المبارك[١].

وفي شهر تشرين الأول من العام نفسه (١٩٢٨م) عيّنه الأستاذ محمد كردعلي، وكان وزيراً للمعارف، معلماً في مدرسة (منين)[٢] الابتدائية، وظل بعد ذلك يتنقل بين مدرسة الملك الظاهر ـ التي طلب الانتقال إليها لقربها من مسكنه ـ ومدرسة البحصة والمدرسة الأموية، ومدرسة الصنائع والتجارة، حتى استقرَّ عام (١٩٤١م) مدرساً في مدرسة التجهيز الأولى بدمشق ـ وهي التي أطلق عليها فيما بعد اسم ثانوية جودة الهاشمي ـ وفيها لقيته معلّماً، ودرستُ عليه سنةً كاملة.

ولما أنشئت كلية الآداب في جملة ما أنشئ من كليات الجامعة السورية عيّن الأستاذ الأفغاني فيها أستاذاً مساعداً، فوجد بعض زملائه في نفوسهم عليه وعلى من عيّنه، وزادت موجدة بعضهم حتى بلغت حدّ الكلام وطول اللسان، ولم يكن من عادته ـ رحمه الله ـ أن يردّ في مثل هذه المناسبات أو الخصومات، وهي خصومات تزداد مع الأيام، ويكثر ورّادها، لأن المستهدف فيها صاحبُ رأي لا يجبُن عن إعلانه، وصاحبُ موقف لا يتزحزحُ عنه ولا يبالي بمن غضب أو سخط.

وكان بين الساخطين والناقمين طلابٌ له، وكان منهم من لا يسخط أو لا يجرّح إلا لأن الأستاذ رحمه الله كان عادلاً مستقيماً، فلم يعطه درجة النجاح التي كان يريدها أو يحلم بها!!.

= وكتاب (نور ونار)، للأستاذ مطيع المرابط، ففيهما ما يملأ النفس فَخَاراً بمدارس تلك الأيام.

(١) انظر صورة دفعة الخريجين عام ١٩٣٢م في الملحق رقم ١.

(٢) (منين) قرية على بعد ٤٠ كم من دمشق شمالاً.

ولقد كتب بعضهم مقالاً طويلاً في مجلة عربية يهاجم بها أستاذنا الأفغاني، ولما عجبت للأمر وسألته. . . قال لي: من حقه أن يكتب ما كتب، فلقد رسب عندي ثلاث سنوات!.

ولعل من حقه علي اليوم أن أقف لأذكر بالتفصيل والتوثيق ما كان ينكره المبطلون من حاقدين وحاسدين:

أُرسِل الأستاذ (سعيد الأفغاني) في تشرين الأول من عام (١٩٤٦م) إلى القاهرة للتحضير لدرجة الدكتوراه، موفداً من وزارة المعارف ـ ولم تكن عندنا إذ ذاك وزارة التعليم العالي ـ وطلب إليه في القاهرة أن يقدّم امتحاناً في اللغتين التركية والفارسية، وامتحاناً في اللغة الانكليزية (في مستوى لغة ثانية)، وأن يقدم أبحاثاً أو مؤلفات، ففعل، ووافق مجلس كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول[1] في القاهرة في جلسة (٢٧) يناير (١٩٤٧م) ومجلس الجامعة في جلسة (٢٩) مارس (١٩٤٧م) على نتائج امتحاناته، وجاء في القرار المتخذ بشأنه: . . أدى الطالب الامتحانات في اللغتين التركية والفارسية، وفي اللغة الانكليزية كلغة أوروبية ثانية، ونجح في هذه الامتحانات. وقرر قسم اللغة العربية أن أبحاثه تعادل الماجستير، وتغني الطالب بعد معادلة اللّيسانس عن التحضير للماجستير، ويمكن قيده للتحضير للدكتوراه، ووافق على ذلك مجلس الكلية بجلسة (٦) من يناير (١٩٤٨م).

وبناء على ذلك وافقت جامعة فؤاد الأول في (٢٥) يناير (١٩٤٨م) على قيد الطالب (محمد سعيد الأفغاني) للتحضير لدرجة الدكتوراه في الآداب (قسم اللغة العربية) من العام الدراسي (١٩٤٧ ـ ١٩٤٨م)، وصادق على هذه الوثيقة عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول في

---

(١) جامعة القاهرة الآن.

(١٨/ ١/ ١٩٤٨م)، وبعثت وزارة المعارف السورية نسخة منها إلى رئاسة الجامعة السورية في (٢٤/ ٤/ ١٩٤٨م)، وسجل الأستاذ الأفغاني موضوع (أدب الشام السياسي في عصر الأمويين) للتحضير لدرجة الدكتوراه، ولكنه لم يتابع العمل فيه، وعاد إلى دمشق منقطعاً لتدريس اللغة العربية في كلية الآداب التي أنشئت آنذاك، وتدرج في وظائفها أستاذاً مساعداً منذ (٧/ ٢/ ١٩٤٨م)، ثم أستاذاً بلا كرسي في عام (١٩٥٠م)، ثم أستاذ كرسي اللغة العربية بدءاً من (١/ ١/ ١٩٥٧م)، وعميداً لكلية الآداب من (١١/ ١٢/ ١٩٦١م) إلى (١٨/ ١٢/ ١٩٦٣م) وأحيل على التقاعد بتاريخ (٣١/ ١٢/ ١٩٦٨م).

وكُلّف الأستاذ الأفغاني، بالإضافة إلى عمله، القيام بدروس التطبيقات العملية في المعهد العالي للمعلمين لعدة سنوات.

ودعته الجامعة اللبنانية أستاذاً محاضراً، فاستجاب لدعوتها، ووضع لطلابها كتباً في قواعد اللغة موافقة لمناهجهم.

ثم تعاقدت معه الجامعة الليبية في بنغازي حيث بقي عدة سنوات أستاذاً ورئيساً للقسم، ومشاركاً في رئاسة تحرير مجلة كلية الآداب. وكانت آخر أعماله التدريسية في جامعة الملك سعود بالرياض، حيث بقي يدرس حتى بلغ الخامسة والسبعين، فعاد إلى دمشق وخلد إلى الراحة، وكان سمعه وبصره قد كلاَّ وضعفا، وظهرت عليه آثار الشيخوخة وخاصة بعد فقد زوجته، وكانت ابنته الوحيدة المقيمة مع زوجها في المملكة العربية السعودية تتفقده خلال العام، وتقيم معه صيفاً. . ثم اصطحبته إلى المملكة حيث قضى رحمه الله في (١١ شوال سنة ١٤١٧هـ ـ ١٨ من شباط ١٩٩٧م)، عن عمر قارب ثمانياً وثمانين سنة.

استمرت خدمة الأستاذ الأفغاني في جامعة دمشق من ٢٢/ ٢/ ١٩٤٨م إلى ٣١/ ١٢/ ١٩٦٨م.

وقد أوفدته وزارة المعارف سنة (١٩٥٦م) إلى مصر وليبية وتونس والجزائر والمغرب للاطلاع على طرق تدريس اللغة العربية في جامعاتها.

ثم أوفده وزير المعارف إلى إسبانية وفرنسة وإنكلترة لزيارة معاهد الاستشراق فيها خلال ستة أشهر من عام (١٩٥٦م).

كما كلفته جامعة دمشق تمثيلها في عدد من الندوات والمؤتمرات التي كان منها حلقة تيسير النحو التي أقيمت في القاهرة سنة (١٩٦١م)، وجلسات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في عام (١٩٦١م)، والاحتفال الذي أقيم في بغداد عام (١٩٦٢م) تخليداً لذكرى الفيلسوف أبي يعقوب الكندي، والمهرجان الدولي لابن حزم والشعر العربي الذي أقيم في قرطبة (إسبانية) عام (١٩٦٣م)، كما سافر عام (١٩٦٣م) إلى طهران تلبيةً لدعوة من رئيس جامعتها للاطلاع على الدراسات العربية والإسلامية في الجامعة، وعلى خزائن المخطوطات العربية القديمة في إيران. وشارك في الموسم العلمي في المغرب في أيار (١٩٦٧م)، واطّلع خلال سفراته إلى المغرب وتونس على خزائن المخطوطات العربية القديمة، واصطحب بعضها وأحياه بالنشر كما نرى في آثاره.

وكان كثير السفر إلى مصر، إذ كانت له فيها صلات وصداقات، وطبع فيها عدداً من كتبه. وانتُخِبَ في عام (١٩٧٠م) عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكان ملازماً لحضور ندوات المجمع ومؤتمراته السنوية، ونشر كثيراً من البحوث والمقالات في مجلته، وقد أدرجتُها في آثاره.

وكان معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية كلّفه إلقاء محاضرات في عام (١٩٦٢م)، وهي المحاضرات التي صدرت في

كتاب عن المعهد بعنوان (حاضر اللغة العربية في بلاد الشام).

ثم انتُخب في عام (١٩٩٠م) عضواً عاملاً في مجمع القاهرة (كما جاء في محضر الجلسة الثامنة والعشرين التي عقدت في ٢٨ مايو سنة ١٩٩٠م)[١] خلفاً للدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق والعضو العامل في مجمع القاهرة، وكان رحمه الله قد توفي في (٣١/ ١٢/ ١٩٨٦م)، واستقبل الأستاذ الأفغاني مع أربعة من زملائه[٢].

وقد ألقى الدكتور شوقي ضيف كلمة استقباله وقال فيها:

ثاني الأعلام الذين يستقبلهم المجمع اليوم الأستاذ الجليل سعيد الأفغاني، المولود بدمشق سنة (١٩٠٩م)، وفيها أتمَّ دراسته الابتدائية والثانوية، ثم التحق بقسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة السورية، وتخرّج فيه سنة (١٩٣٢م)، وكان حينئذٍ معلماً في مدرسة التجارة الإعدادية بدمشق، وفي سنة (١٩٤٠م) نُقل إلى مدرسة التجهيز الأولى، وعُين في سنة (١٩٤٨م) مدرساً في كلية الآداب بالجامعة السورية لتدريس علوم اللغة العربية.

وفي سنة (١٩٥٦م) أُوفد لزيارة أقسام اللغة العربية في جامعات أوروبية وعربية مختلفة، وفي يناير سنة (١٩٥٧م) سُمّي أستاذاً لكرسي علوم اللغة العربية في الجامعة، ورأس قسم اللغة العربية بكليته منذ سنة (١٩٥٨م). وفي سنة (١٩٦٠م) انتخبه المجمعُ العلمي العراقي عضواً مراسلاً، ثم قرر ـ فيما بعد ـ انتخابه عضواً مؤازراً، وانتُخب عميداً لكليته في سنة (١٩٦١م) ومثّل في نفس السنة جامعة دمشق في حلقة تيسير النحو، التي انعقدت في القاهرة بكلية دار العلوم، ومثلها أيضاً في

---

(١) مجمع المجمع، الجزء ٦٩، نوفمبر ١٩٩١، ص٢٢١.

(٢) المصدر السابق، الجزء ٧٢، مايو ١٩٩٣م.

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

وفي سنة (١٩٦٢م) اشترك في المهرجان الألفي لمدينة بغداد وذكرى فيلسوفها الكندي، وفي سنة (١٩٦٣م) دعته جامعة طهران لزيارتها، وإلقاء محاضرتين بها، وفي نفس السنة مثّل جامعة دمشق في المهرجان الدولي لابن حزم والشعر العربي الذي انعقد بقرطبة، وألقى فيه بحثاً موضوعه: (اللغة عند ابن حزم).

وفي سنة (١٩٧٠م) انتخبه المجمع اللغوي بالقاهرة عضواً مراسلاً، ومنذ هذا التاريخ يشارك في أكثر دورات مؤتمراته ببحوث نشرت في مجلداتها، وبعد إحالته إلى التقاعد دعته جامعات عربية متعددة للتدريس بها، وأول جامعة عربية دعته الجامعة اللبنانية من سنة (١٩٦٨ ـ ١٩٧١م)، وانتدبته حينئذاك انتداباً إضافياً جامعة بيروت العربية، ودعته الجامعة الليبية (جامعة بنغازي فيما بعد) من (١٩٧٢ ـ ١٩٧٧م)، وفي أثناء تدريسه بها دعته وزارة الثقافة في الجمهورية التونسية إلى ملتقى ابن منظور المعقود بمدينة قَفْصة التونسية، فلبّاها مشاركاً فيه ببحث، ودعته الجامعة الأردنية سنة (١٩٨٠م) وجامعة سعود سنة (١٩٨٤م).

وبجانب هذا النشاط الجمّ في التدريس للأستاذ سعيد الأفغاني نشاط وافرٌ في التأليف والتحقيق، أما التأليف فله فيه: حاضر اللغة العربية في الشام ـ نظرات في اللغة عند ابن حزم ـ مذكرات في قواعد اللغة العربية ـ في أصول النحو ـ الموجز في قواعد اللغة العربية وشواهدها ـ من تاريخ النحو.

وهي ستة كتب قيمة في اللغة والنحو، وبجانبها مؤلفات عن: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ـ ابن حزم الأندلسي ـ الإسلام والمرأة ـ السيدة عائشة والسياسة.

وله في التحقيق: الإجابة لما استدركته السيدة عائشة على الصحابة للزركشي - المفاضلة بين الصحابة لابن حزم - جزء من سير النبلاء خاص بترجمة السيدة عائشة - جزء من سير النبلاء خاص بترجمة ابن حزم - تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني - الإغراب في جدل الإعراب لابن الأنباري - لمع الأدلة لابن الأنباري - الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب للفارقي - ملخص إبطال القياس لابن حزم - حجة القراءات لابن زنجلة. سوى كتاب المغني لابن هشام (بالاشتراك) وأفدتُ منه فوائد كثيرة في كتابي المدارس النحوية. والكتب محققة تحقيقاً منهجياً سديداً.

وللأستاذ سعيد الأفغاني مقالات وبحوث كثيرة في (مجلة مجمع اللغة العربية) بالقاهرة، و(مجلة المجمع العلمي العربي) بدمشق، ومجلتي (الرسالة) و(الثقافة) القديمتين في القاهرة، ومجلة (العربي) و(البيان) الكويتيتين، ومجلة (كلية الآداب) في جامعة بني غازي، و(مجلة رابطة العالم الإسلامي) العراقية[1]. ومجلة (دعوة الحق) المغربية، وأرحّب به ويرحّب به مجمع القاهرة زميلاً كريماً.

ثم خطب الأستاذ الأفغاني فقال:

السيد الرئيس

سادتي رجال المجمع

أيها الحفل الكريم

أحسن الله إليكم فقد أحسنتم بنا الظن حين ضممتمونا إلى صفكم، مجاهدين لرفعة العربية، عاملين لرد عافيتها، وسد حاجاتها وما أكثرها؛

---

(١) كذا في الأصل؛ والمجلة سعودية تصدرها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة. (الناشر)

وسنحاول ذلك جاهدين بكل ما أنعم الله علينا من قوة ما استطعنا، فإن كنا عند حسن ظنكم فبتوفيق من الله وله الحمد، وإن قصّرنا فالعجز من طبع البشر، ولا جناح على من بذل الوسع وصدق الجهد. ونحن نعلم أن الطريق ممهد لكنه طويل. والذي علينا أن نريد، ونعزم ثم نستعين بالله.

سادتي:

لست أعرف من نفسي ما سمعتم من نعوت تفضل بها الأخ المستقبل الدكتور شوقي ضيف، فهو معروف بدماثته وأدب نفسه، لكني أعدّ هذا منه أمراً من المجمع الكريم أتى في صيغة الخبر، وكذلك يعده رفاقي المستقبلون، فاقبلوا منا شكرنا، ونحن إن نعجز عن إيفائكم حق الشكر، لا نعجز عن الضراعة إلى الله العلي القدير أن يحفظ هذه المؤسسة ماضية على الطريق الأقوم الذي يرضيه ويجنبها بنيّات الطرق، وأن يجعل يومها خيراً من أمسها، وغدها خيراً من يومها، وأن يكشف عن أمة هذا اللسان العربي المبين ما ألمَّ بها من تصدع، ويحررها من كيد الأعداء ظاهرين وخفيّين الذين رحلوا بأشباحهم ومازالت شرورهم مستقرة تتصرف بنا، وأن يرزقنا الوعي الكافي لما يحيط بنا من خطط السوء في لبوس من دعوى الخير.

سادتي

وفَّقنا الله لتحقيق ظنكم، ونكرر شكرنا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

حياته الاجتماعية

ذلك هو الجانب الرسمي أو الوظيفي في حياة أستاذنا الأفغاني رحمه الله.

وأما حياته الاجتماعية وصلاته بالناس، وما كان يتصف به، فأنا أحدثك عنه حديث التلميذ عن أستاذه، وحديث الزميل عن زميله، وحديث الصديق عن صديقه، فلقد كنت له كل أولئك؛ درَّسني في المدرسة الإعدادية، ثم درَّسني ثلاث سنوات في كلية الآداب، ثم درّست زميلاً له في كلية الآداب ثماني سنوات، منذ عُيّنت إلى أن خرج متقاعداً، وربطت بيني وبينه صداقة امتلأت سنواتها بالزيارات والدعوات والمشاركة في مذاكرة العلم ونزهات الترويح عن النفس.. وهي صداقة كشفت لي عن أخلاقه في حلمه وغضبه، وفي سروره وحزنه، وفي سفره وإقامته.. وهي صداقة استمرت إلى ما قبيل سفره الذي لم يعد منه.. يوم سافر بصحبة ابنته الوحيدة إلى جدّة عام (١٩٩٧م).

عاش الأستاذ الأفغاني نصف عمره عزباً، ثم تزوج من سيدة فاضلة هي ابنة الأستاذ صلاح الدين الخطيب، وكان جدُّها لأمها محدّث الشام الشيخ بدر الدين الحسني، وشقيقتها زوجة الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي، ورزق منها بابنة وحيدة، وعاش حياةً أسريةً هانئة وهادئة، ومرضت زوجُه، فصرف همّه على ضعفه لخدمتها إلى أن قضت في سنة (١٩٩٤م) رحمها الله.. وأما هو فقد ضعف سمعه في آخر حياته، ثم

ضعف بصره، فكان ذلك سبباً لضيقه وللعزلة التي فرضها على نفسه؛ فلم يكن يستقبل إلا عدداً محدوداً جداً من أصدقائه المقرّبين.

أحبّ الأستاذ الأفغاني اللغة العربية منذ استهلّ حياته التدريسية وصرف همَّته لإتقانها، يشهد على ذلك تقرير التفتيش الذي كتبه المفتش الأستاذ شكري الشربجي في (٢٠) من نيسان عام (١٩٣٨م) بعد أن حضر درساً ألقاه الأستاذ الأفغاني. جاء في التقرير «إن مادة الأستاذ العلمية ـ على حداثة سنه ـ جيدة جداً، لذلك ينتظر له مستقبل باهرٌ في التدريس، كما أنه سيكون بلا جدال من أحسن الأساتذة في اللغة العربية وآدابها»[١].

كما يشهد على ذلك نشاطه في شبابه، ومتابعته الجلسات الأدبية والفكرية والعلمية التي كانت في ذلك العصر، فلطالما حدثني رحمه الله عن حضوره مجالس الأستاذ محمد كردعلي[٢]، وعن صلته الوثيقة به ـ وهو الذي عينه معلماً حين كان وزيراً للمعارف ـ كما كان يحدثني عن مجالس كثيرة يحضرها مثقفو ذلك العصر وأدباؤه كالأستاذ عارف النكدي، والشاعر الأستاذ: خليل مردم بك، والأستاذ سليم الجندي وغيرهم في دمشق، وكمجالس الأستاذ أحمد أمين، والأستاذ أحمد حسن الزيات، والأستاذ محمود محمد شاكر وغيرهم في مصر.

وقد وصف تقرير التفتيش نشاطه فقال: «إن السيد سعيد الأفغاني أستاذ شاب فعّال ونشيط جداً».

وأما خُلُقه، فقد كان رحمه الله رجلاً كل الرجل، ترفُّعاً عن الصغائر، وعفّة ونظافة يد، وجرأة في الحق، وبعداً عن المجاملة

---

(١) انظر صورة التقرير في ملحق الوثائق رقم ٣.

(٢) الأستاذ الرئيس محمد كردعلي. رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق.

والمحاباة، لقد كان يؤثر الحق حيث يُغضب الناس ويسخطهم عليه، على الباطل حيث ينفعه ويحبّبه إلى الناس . . .

لقد كتبت يوم وفاته أننا «فقدنا بوفاته رجلاً وعالماً ومعلماً؛ فلقد عرفته منذ أكثر من نصف قرن، حين كان يمرّ منصرَفه من صلاة الجمعة في المسجد الأموي بقرب بيتنا بجوار المسجد الأموي، وبصحبته الأستاذ علي الطنطاوي والشيخ عبد القادر العاني متوجهين أحياناً إلى منزل العاني في حي الكلاَّسة، شمالي الجامع الأموي، وكنت في السابعة من عمري، فكان الأستاذ الطنطاوي يناديني باسمي، ويقدّمني إليهم، ثم يقول لي: سلّم على شيخنا المبارك، وقل له: الأفغاني والعاني والطنطاوي يسلّمون عليك. وكنت أسرّ بهذه الرسالة.

وكثيراً ما كانت الجلسة تعقد بعد صلاة الجمعة في دار الحديث الأشرفية بحي العصرونية، ويحضرها عدد من الفضلاء بالإضافة إلى الشيخ العاني، والأستاذين الطنطاوي والأفغاني، مثل الدكتور أحمد حمدي الخياط والأستاذ فخر الدين الحسني رحم الله الجميع.

وكانت أطول جلساتهم عمراً تلك التي ذكرها الأستاذ الطنطاوي في ذكرياته[1] وقال: إنها كانت في المدرسة الأمينية واستمرت ثلاثين سنة.

ثم عرفت الأستاذ الأفغاني حين أصبحتُ واحداً من طلابه في المدرسة الإعدادية في مدرسة التجهيز الأولى بدمشق ـ ثانوية جودة الهاشمي ـ، ثم أصبحتُ ثانية واحداً من طلابه في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق، حيث درسنا ثلاث سنوات، ثم عملتُ معه وفي رعايته منذ عام (١٩٦٠م) حين عينت مدرساً في قسم اللغة العربية، وبقيت في صحبته

---

(١) ذكريات: ٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.

إلى أن بلغ الستين، وخرج متقاعداً، واستمرت صحبتي له؛ نتزاور في فصل الصيف الذي يجمع الغائبين عن دمشق.

ولقد أتاحت لي تلك الصحبة الطيبة أن أعرفه ـ رحمه الله ـ في فرحه وحزنه، وفي حلمه وغضبه، وفي يسره وضيقه، ولم تكن واحدة من تلك الحالات بقادرة على أن تسيطر عليه، أو تغيّر من سلوكه.

لقد رأيتُ فيه الرجل كل الرجل، أنفة وإباء، وكرهاً للمحاباة والنفاق، وبغضاً واحتقاراً ـ لم يكن يخفيهما ـ لمن عرف فيه المواربة والتلوي في خلق أو سلوك.

لم تفتنه يوماً سلطة قوي، ولم تأسره دنياه بمظهر أو منصب، لقد كان كل همّه أن يقول الحق الذي يعتقد، وأن يكون إلى جانب الحق الذي عرف، ولو أغضب ذلك منه الناس، وأبعد عنه الأصدقاء.

ورأيتُ فيه ـ رحمه الله ـ العالم الذي يقدّر العلم، ويبذل في سبيله الوقت والمال إلى أمانة نادرة، وتواضع جمٍّ، ونزعة إنسانية لا يعرفها فيه إلا المقرَّبون، فلم يكن يحبُّ أن يكون ذلك منه على الملأ.

ورأيتُ فيه المعلم الذي يضرِبُ لطلابه المثلَ الأعلى في الانضباط والحرص على النظام، وتهيئة الدروس والمحاضرات، ودقة تصحيح أوراق الطلاب، وعدالة الميزان في حساب الدرجات، وقول الكلمة البليغة يصبّها في الوقت المناسب على من يستحقها من الطلاب، ويمضي متابعاً درسه؛ لا يضحك إن كانت مضحكة، ولا يغضب أو ينفعل حين يقولها إن كانت تغضب أو تلهب!.

لقد علَّم سعيد الأفغاني طلابه العلم والدأب في تحصيله، وعلَّمهم حبَّ الحق والجهر به، وكان قدوة صالحة لأجيال كثيرة ظلَّ يعطيها نصف

قرن ثم مضى لم يعطه أحدٌ شيئاً . . !! وقدّر له غيرُنا علمه وفضله فانتخبوه عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

لقد شهدته في عشرات المواقف ، فشهدت فيه الرجل الذي يخشى الله ، ولا يخشى الأذى من الناس ، ورأيت فيه الإنسان النبيل والأخ الوفي ، وحسبي مما شهدت الحادثة التالية :

تقدم أحد زملائي للتعيين في قسم اللغة العربية فرفض الأستاذ الأفغاني تعيينه ، لأنه لم يكن مقتنعاً بصحة تعيينه لعدم انطباق الشروط المطلوبة عليه ، واستطاع ذلك الزميل أن يلفّ ويدور ، فصدر قرارُ تعيينه ، واستقبلناه في قسم اللغة العربية ، وكانت علاقته بالأستاذ علاقة طبيعية قائمة على المودة والاحترام .

وفي ظروف عصيبة مرَّت بها البلاد فوجئنا في القسم بتسريح ذلك الزميل وفصله من العمل ، ولم يكن له مورد غير مرتّبه الجامعي ، وكانت عنده زوجة وأولاد . لم يمض على تسريحه يومان حتى طرق الأستاذ الأفغاني بابه ، ولم يكن زاره في حياته ، وجاءه مُطمئناً له ألا يقلق على الرزق ، وعرض عليه أن يقاسمه مرتبه الجامعي شهرياً حتى يجد عملاً جديداً يستريح إليه في داخل القطر أو خارجه .

لقد زرت ذلك الزميل بعد خروج الأستاذ الأفغاني من عنده ، فحدثني بما جرى والدمع يملأ عينه وهو يقول : «والله يا مازن ما كنت أظن أن هذا الرجل الصلب يملك مثل هذا القلب الرقيق» .

لقد كان سعيد الأفغاني يحب الحرية ، ويؤثر الحق ، ويتمسك بالعدل ، وكان شديد الكره لما يراه من انحراف المنحرفين ، وتزوير المزوّرين ، وكان شديد الكراهية لأولئك الذين يلبسون لكل أناس ما يعجبهم ، وينطقون في كل مجتمع بما يرضيه ، وكان لا يفتأ يصرّح

بذلك بلسانه، ويكتبه بقلمه، ويقتنص كلَّ فرصة للتعريض بهم، ففي كتابه (رسالتان لابن الأنباري) يقول: «**ولولا أنه لا هادي لمن أضله الله لأشرتُ أن يقرأ سيرةَ ابن الأنباريِّ هذه عبيدُ الدراهم ممن كانوا ينتسبون إلى العلم والدين، ثم تهافتوا على المال والمناصب في دناءةٍ ووضاعة كلبيتين، راكبين إليها الكذب والنفاق وسوء الائتمان وغش الجماهير، وتدنيس العلم وتغيير الدين عشرين مرةً في النهار**»[١].

ويصف الأستاذ الأفغاني نفسه فيقول: «**في طبعي هيام بالحرية والصراحة، وكثيراً ما أنكبُ الطريق الأسلم في سبيل الجهر بما أرى أنه الحق في العقائد والأشخاص، متحملاً بصبر وطمأنينة ما أجرُّ على نفسي من عناء وعداء، وهذا بلاء حتمٌ لا مفرَّ منه لمن خُلِقَ حرّاً صريحاً، ولو حاول غير ذلك ما استطاع**»[٢].

ولعل هذا الخُلُق هو الذي جمع بينه وبين الإمام ابن حزم وحبّبه إليه، وحمله على العناية بآثاره، فقد كان فيه منه مشابه كثيرة، حتى إنه أشار إلى بعض هذه المشابه فيما كتبه عنه؛ فقال في مقدمة (ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة): «**ولو لم يكن في ابن حزم إلا أنه حرّ الفكر، قوّال بالحق، جبّاه به، حتى ألّب عليه الجنَّ والإنس، لكفى بذلك حافزاً لمثلي على حبه وإكباره، ودراسة حياته، ونشر فضائله، والمساهمة في تخليد اسمه**[٣]، **وما أكثر ما يلقى من نصب نفسَه لقولِ الحقِّ والصدع به بمزاج مثل مزاج ابن حزم صراحةً وصدقاً وعدم مبالاةٍ، وإهمالاً للعواقب تجر عليه ما جرّت**»[٤].

---

(١) رسالتان لابن الأنباري، ط. الجامعة السورية، ص٩ الحاشية (٥).
(٢) عائشة والسياسة، بين يدي الكتاب، ص٥.
(٣) ابن حزم ورسالته في المفاضلة بين الصحابة، ص٥.
(٤) ابن حزم ورسالته في المفاضلة بين الصحابة، ص٦٩.

لقد أُعجب الأفغاني باثنين من فقهاء الأمة هما: (ابن تيمية) في المشرق و(ابن حزم) في المغرب، وهما من هما تمسّكاً بالحق الذي يعتقدان، وصلابةً في الموقف، وعدم اكتراث فيما يجرّه الرأي على صاحبه، ولقد عبّر رحمه الله عن ذلك بصراحة فقال: **«وأكادُ أقول: ما رأيتُ أحداً بعد الصدر الأول من الأئمة فَهِمَ الشريعة حقَّ الفهم، وأفهمها بإخلاصٍ وصدقٍ وحماسةٍ مثل رجلين: ابن حزم في المغرب وابن تيمية في المشرق، أرسلهما الله على أهل الدسّ والدخائل الخبيثة، الذين أرهقوا جسم الإسلام بما حشوه من بدع المجوسية والنصرانية واليهودية، فكانا عليهم وعلى ما أتوا به صاعقة مثل صاعقةِ عاد وثمود»**[1].

ومافتئ أستاذنا في كتاباته عن ابن حزم يثني على وفائه، وعزّة نفسه، وصدقه وجرأته، وعلى سموِّ عاطفته، ورقَّة حسِّه وطهارة ذيله وعفَّته، وهي كلها صفاتٌ أحبَّها وتمثلها في حياته ثم رآها في صاحبه ابن حزم فأعجب به من خلالها، وأحبه فيها كما أحبها فيه.

ولا أشك أن مفتاح شخصية الأستاذ الأفغاني رحمه الله هو إيمانٌ بالإسلام كإيمان قومه صلب لا يتزعزع، وتمسكٌ به في جميع المواقف والمناسبات، وحبٌّ للغة العربية ينطلق صاحبه منه بحماسة وإخلاص لرعايتها والدفاع عنها ونشرها وتعليمها، وكره من يعاديها من بعيد أو قريب.

واستمع إليه يقول: **«مما أشكر الله عليه أعظم الشكر أني نشأتُ أول ما وعيتُ ـ عقب الحرب العالمية الأولى ـ في جوٍّ لا يشغله إلا عربية وحماسة لها وإيمان بها وهمم تتصارع في البناء لها، تسابق الزمن، وتسدّ المنافذ على الأحداث»**[2].

---

(١) ابن حزم ورسالته في المفاضلة بين الصحابة، ص٤٣.

(٢) من مقال (محنة إلى زوال) مجلة مجمع القاهرة، الدورة ٤٣ في ٢٥/ ٢/ ١٩٧٧م.

لقد صاغ الإسلام الأستاذ الأفغاني صياغة إسلامية الخُلُق عربيـة الثقافة واللسان.

وعلى علوِّ كعبه في علوم العربية عامة والنحو خاصة، لم يكن ليقصر نفسه على اختصاصه اللغوي والنحوي، بل كان ذا ثقافة إسلامية عربية تجلَّت فيما كتب وألَّف وحقَّق ونشر.

فكتابه (**أسواق العرب**) من أجمع ما كتب في موضوعه وأحسنه، وستقرأ عرضنا له بعد صفحات[1] فتعلم أنه يعطي قارئه صورة واضحة عن حيـاة العرب الاقتصاديـة وبيوعهم ومنزلـة قريـش في تلـك الأسـواق التجاريـة، والحياة الاقتصادية عامة.

وكتبُه في **العربية** أراد لها أن تكون مكثَّفة مركزة بعيدة عن أساليب القدماء في التطويل وإيراد الاعتراضات والشبه ومناقشتها، لتكون أقرب إلى ذوق العصر، ولئلا يشقى قارئُها بانشغاله بحلِّ عبارات المؤلف عن فهم المادة العلمية نفسها.

وكتبُه في تراجم **الأعلام** تدل على ذوقٍ وتميّز في الاختيار؛ فقد أخرج عدداً من الكتب، مؤلَّفة ومحقَّقة، عن (ابن حزم) في الرجال، وعن (السيدة عائشة) في النساء.

وهو يرى في ابن حزم واحداً من اثنين؛ هما الإمامان المتميزان ـ ابن حزم وابن تيمية ـ، ويراه أوحد الأئمة في المغرب.

ويرى في السيدة عائشة أبرز امرأة في تاريخ الإسلام، تبهرك بعلمها الـزاخر، وسعة أفقها في الفقه والحديث والتفسير والأدب والأخبـار والأنساب والتاريخ. .

---

(١) ص٤٩.

ثم إنه رحمه الله أراد أن تكون له دراسة عامة عن المرأة في الإسلام؛ واسمعه يقول: «قضيتُ في دراسة السيدة عائشة نحواً من عشر سنوات، وقد وفّقت خلالها إلى إصدار كتب أوصي القارئ بالرجوع إليها، فإنها صدرت جميعاً في سبيل أن تكوّن دراسة المرأة عامة في صدر الإسلام وعائشة خاصة، دراسة مستفيضة واضحة المعالم، شاملة عميقة».

ويعدد الكتب التي يوصي بقراءتها، ثم يقول عن كتابه (الإسلام والمرأة): «وهذا الكتابُ أريدُ به أن يكون أساساً ومدخلاً لكل دراسة نسوية في الإسلام»[1].

وكانت لأستاذنا الأفغاني آراء وحِكَم استخلصها من تجاربه وطبّقها على نفسه في حياته، ونصح بها ودعا إلى الأخذ بها مَنْ كان على صلةٍ قريبة منه.

كان رحمه الله يوصي بالنوم المبكر، والاستيقاظ المبكر، وكان ينصح لي ألا أقرأ إذا غابت الشمس، ويقول لي: اغتنم فرصة النهار في العمل والقراءة ما استطعت، فإذا غابتِ الشمس فأرح بصرك، وإلا تعبتْ عيونك مبكراً.

وكان يحضُّ طلابه على التزام مجالس العلم، وزيارة أفاضل العلماء، والجلوس إليهم، وقد أعطاني حين أوفدت إلى مصر عدداً من عنوانات أصدقائه في مصر ووجّهني إليهم.

وكثيراً ما كان يخرج في أوقات الأصيل صيفاً إلى المتنزهات القريبة من دمشق برفقة بعض أصدقائه، أو يجلس معهم في مقهى بسيط كان في آخر المهاجرين على سفح قاسيون، فيتذاكرون أخبار الثقافة والكتب.

---

(١) كتاب (عائشة والسياسة) ط٢، ١٩٧١م، ص٢٧، حاشية (٤).

وقد كان له رحمه الله عدد محدود من الأصدقاء اختارهم من مهن متباينة، وقد عجبت لهذا! وكنت مع الزميل الدكتور محمود الربداوي ذات مرة بدعوة أستاذنا الأفغاني على غداء في متنزَّه قريب من دمشق، ولما سألتُه عن سبب اختياره لأصدقاء ليس بينهم أحد من الأساتذة أو الجامعيين، تبسَّم وقال: احذر أن تكون (شلّتك) من زملاء مهنتك، إذ لو كان رفاقي اليوم من القسم أو الكلية لأصبحت نزهتنا جلسة من مجالس القسم أو مجالس الكلية، ولما خرج حديثنا عن شؤون التدريس والجامعة ونحن إنما خرجنا لنستريح من تلك الأحاديث ونغير ذلك الجو.

ونصح لنا أن نتجنب اتخاذ (الشلل) والأصحاب في النزهات من زملاء مهنتنا. وما زلت أذكر هذه النصيحة كلما تورّطت في نزهة مع زملاء العمل وانقلبت النزهة إلى جلسة لقسم اللغة العربية!!.

وكان رحمه الله يدعونا إلى ألا نخدع بما نسمع ممن يدَّعون أنهم كذا أو كذا من أصحاب الدعوات والشعارات، سواء أكانت إسلامية أم عربية أم وطنية، ويقول: **انظروا إلى سلوكهم وأعمالهم، فإنها محك صدقهم، ومقياس إخلاصهم.**

وكثيراً ما يصرح ولا يخفي، ويظهر ولا يبطن، ويعلن ولا يسر، بأسلوب ساخر يفضح.. وكان يلقى من وراء ذلك عداوة وصدّاً.

وما نشرتُ أنا اليوم ما نشرت من وثائقه وشهاداته، رحمه الله، من مدرسة الآداب العليا وحصوله على درجة الليسانس، ومعادلة درجة الماجستير، وقبول تسجيله لدرجة الدكتوراه؛ إلا ردّاً على أولئك الذين كانوا يطيلون ألسنتهم بالباطل، ويفتئتون عليه زوراً وبهتاناً، أما هو فما كان يرد على أحد أو يأبه لما يقال، وما كان يرجعُ عن موقف وقفه أو رأي اعتقده.

وأختتم الحديثَ عن حياة أستاذي الأفغاني بإيراد ثلاثة أخبار:

أما الخبر الأول فعن حادثة تبيّن صلابته ـ رحمه الله ـ وحرصه على إنفاذ ما يريد.

وأما **الخبر الثاني** فعن الرجال الذين اصطفاهم وبقي على صلة بهم.

وأما الثالث فعن صلته بصديق عاش معه عمره، وهو صديق عرف بالاستقامة والأمانة والصراحة والجرأة، كما عرف بطلاقة اللسان وحسن البيان، وقد قدم لنا في (ذكرياته) صورة حيّة للأستاذ الأفغاني، ذلكم هو الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي في حديثه عن رفيق عمره سعيد الأفغاني في كتابه (ذكريات).

أما الخبر الأول فهو أن الأستاذ الأفغاني كان يسكن في (كيوان)؛ وهي من ضواحي دمشق قبيل المزة، حين كان يكتب عن (الإسلام والمرأة) و(عائشة والسياسة). وقد أمضى في التأليف عشر سنوات، يجمع وينسق ويكتب.. حتى إذا ما انتهى الكتاب، وتمت نسخته المسوّدة؛ أتى فيضانٌ لنهر بردى كان طوفاناً مشهوراً لقوته وعتوّه، فطغى وغلب على البيوت وما فيها، وجرفت أمواجه ما وجدته على جانبي النهر من بيوتٍ صغيرةٍ وأثاثٍ، وكانت المسودة ـ وهي النسخة الوحيدة ـ في جملة ما حملتْ من بيت الأستاذ الأفغاني، فبعثرت أوراقها مع عدد من كتبه، وكانت الأوراق تطفو وتغوص، وترتفع وتنحط، والعيونُ تلاحقها بنظرات اللهفة والأسف والحسرة، ولم تُجْدِ محاولات الجيران والأولاد في اللحاق بها، فقد كان الفيضان أقوى منهم، ولم يكن أحدٌ منهم يقدر على الاقتراب من وسطه، وإنما كانوا يركضون على جانبيه، حتى غابت الأوراق وغرق الكتاب.

ولو حملت الأوراق ثقل العلم الذي فيها لكانت صفحة واحدة منها كافية للوقوف في وجه الطوفان. وقد أشار إلى تلك الحادثة في مقدمة

كتابه عن (الإسلام والمرأة) إشارةً عارضة سريعة.

وامتلأت نفس الأستاذ الأفغاني أسفاً وحسرة وهو يرى جهود عشر سنوات تغيبُ تحت الماء، ويذهب بها الفيضان، ثم لم تلبث تلك النفس أن امتلأت همَّة وعزيمة، ولعل أستاذنا تذكر آنذاك مصيبةَ صديقه النحوي ابن هشام ـ صاحب مغني اللبيب ـ الذي ضاع كتابه (المغني) بعد أن انتهى من تأليفه في مكة، فعزم على إعادة تأليفه من جديد، وحبسَ نفسه حتى أعانه الله وحقق رغبته، وأحيا كتابه الذي ما زالت تعيشُ على علمه أجيالُ اليوم.

وعكف الأستاذ الأفغاني على الكتاب من جديد، وأعاد كتابته، ولا يعرف ما تحتاج إليه إعادة تأليف كتاب ضاع مع جهود عشر سنوات إلا مَنْ أصيبَ بذلك أو ما يشبهه... في عصر لم تكن للمؤلف فيه آلاتٌ تنسخ أو تطبع، ولا تقنيات تعينه على ما يريد.. إن الأسف على ماضاع يرافق كل كلمة يكتبها المؤلف من جديد، مما يدعو إلى الحسرة والسآمة والملل، ويستدعي أضعاف ما يستدعيه التأليف البكر من همَّة وعزيمة.

وهكذا ولد الكتاب من جديد بفضل ما اتصف به مؤلّفه من حزم وإرادة وشدة أخذ بها نفسه.

وأما الرجال الذين كان أستاذنا على صلة بهم؛ فقد حدَّدتهم طبيعة الصلة نفسها، إذ لم تكن للأستاذ الأفغاني صلات اجتماعية واسعة تتعدى صلات العمل والعلم، لقد قصر نفسه على عدد قليل ممن كان يألفهم ويحضر مجالسهم على نحو ما رأينا في حياته، وما سنرى من أحاديث الأستاذ الطنطاوي عنه.

وأما الصلات العلمية فقد كانت واسعة مستمرة، وكانت صلة علمية بعدد كبير من رجال العلم في عصره، وقد احتفظ رحمه الله بعدد من رسائلهم في مكتبته.

لقد بقي الأستاذ الأفغاني على صلة طيبة بكثيرين ممن عرفهم أو عمل معهم، وكـان منهم من يلقاه في بلده (دمشق) كالأسـتاذ محمد كردعلي، والأسـتاذ خليل مردم بك، والأسـتاذ عز الدين التنـوخي، والأسـتاذ عبد الغني الدقر، وغيرهم من معارفه وأصدقائه، ومنهم من يراسلهم ويراسلونه، وقد احتفظ في مكتبته بعدد من الرسائل التي تلقَّاها من كثيرين؛ ممن كانت له بهم صلات ودّ أو صلات علم. وممّن احتفظ ببعض رسائلهم إليه:

بهجـة الأثري، بهجة البيطار، جميل بَيْهُم، خير الدين الزركلي، رشيد سليم الخوري، عارف النكدي، عبد الحي الكتاني، عمر فروخ، كوركيس عواد، محمد محمد حسين، محمود تيمور، مصطفى السقا، مازن المبارك، نظير زيتون.

وما أظن أن صلة الأستاذ الأفغاني بأحدٍ من الناس بلغت ما بلغته صلته برفيق عمره وصديقه الشيخ علي الطنطاوي كما سنرى في الفقرة القادمة.

* * *

رفيقا العمر

الصديقان العديلان
علي الطنطاوي وسعيد الأفغاني

رأيتُ استكمالاً للحديث عن حياة أستاذي الأفغاني، رحمه الله، أن أخص علاقته بالأستاذ الطنطاوي بهذه الصفحات، لما كان بينهما من صلةٍ قلَّ أن توجد بين أصدقاء هذا الزمان، ولأنها تكشف عن كل منهما ما لا يكشفه الحديث عن أحدهما بعيداً عن صديقه.

ولكم كنتُ أتمنى لو أوتيتُ بياناً كبيان الطنطاوي سائغاً عذباً، فأكتب بالقلم الذي كتب به عن عظماء التاريخ الإسلامي، وبالقلم الذي كتب به عن دمشق وغوطتها وقاسيونها ومسجدها الجامع، فأصوّر بذلك القلم الشفاف ما كان بين الرجلين من صادق الإخاء وعميق المحبة. أو لو أوتيت لغة كلغة الأفغاني رصينة جزلة، فأكتب بالقلم الذي كتب به عن السيدة عائشة والإمام ابن حزم، وأصوّر ما كان بين الرجلين من جد الرجولة وصادق الوفاء.

ولكني أوتيت جهد المقلّ وعذر العاجز ويشفع لهما الإعجاب بالرجلين والوفاء لهما، وهما العالمان العاملان اللذان ضربا مثلاً رائعاً وقدوة صالحة في الثبات على العقيدة، والوقوف عند حدود الشرع، يوم أصبح القابضُ على دينه كالقابض على الجمر، وفي التزام السلوك المستقيم يوم أصبح الدين شعاراً على اللسان، وزياً على الرأس والبدن، بعيداً عن الجوارح وما تشتهيه من مغريات أو تخافه من مرهبات، وفي

صراحة وجرأة في قول الحق واتخاذ المواقف، لا يحسب صاحبهما لغير الله حساباً، يوم أصبح إرضاء الكبار والصغار غاية من شهوات النفس، أو وسيلةً لاكتساب الرزق.

لقد كانا رحمهما الله كالتوأمين جمع بينهما بل قل وحَّدهما: وحدة في المشرب والمنزع، ووحدة في المسعى والهدف.

لقد آمن كلٌّ منهما بالإسلام عقيدة لا دَخَل فيها ولا زيغ، وسلوكاً لا تفسده المغريات، ولا تنحرف به المرهبات، وأحبّا اللغة العربية وأدبها فاتخذا من التعليم وسيلة لبعثها ونشرها والدفاع عنها، وعاشا منذ تعارفا إلى أن فارقا الدنيا أخوين متحابين، وصديقين متصافيين، وعديلين متوازنين، لم تستطع الدنيا بكل ما فيها أن تفسد الحب، أو تعكر الصفاء، أو تخلَّ بالتوازن.

لقد كان لكل منهما أسلوبه في الحياة وصفاته المتميزة.

أما أحدهما فكان واسع الصلات بالناس، عاشر كل طبقاتهم، عرفهم معلماً، وعرفهم قاضياً، وجاب الدنيا مشرقها ومغربها، وكان انفعالياً سريعَ الغضب يغضب لله، ويغضب للحق، وقد آتاه الله نفَساً طويلاً، فإذا انفعل أو غضب اندفع ينطلق كالمدفع الرشاش، تخرجُ ألفاظه من فمه دراكاً بأسرع مما تسمع أذناك، أو يستوعب وعيك، فكانت له صولات وجولات، تشهد له بالصراحة والجرأة وبلاغة البيان، ذلكم هو **الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله**.

وأما الآخر فهادئ لا يغضب، أو لا تبدو عليه مظاهر الغضب، فإذا سمع ما يخالف الشرع أو يتجاوز الحق ردَّ بجملةٍ واحدةٍ، أو علّق بنكتةٍ ساخرةٍ، ولكنها تغني عن مقالة. ذلكم هو **الأستاذ سعيد الأفغاني رحمه الله**.

ولقد أسعدني الله بمعرفتهما؛ أما الطنطاوي فقد عرفته حين كنت طفلاً، وكان يزور والدي، رحمه الله، برفقة الشاعر أنور العطار رحمه الله.

وأما الأستاذ الأفغاني فقد عرفته معلماً لي في المدرسة الإعدادية.

ولم تنقطع صلتي بهما منذ عرفتهما إلى أن فارقا الدنيا راضِيَيْن مرضيَّين. ولقد كنت أسمع من كل منهما عن صاحبه وأسائله أحياناً عنه، وأشهد أني ما سمعت من أحد من الناس عن صديق من أصدقائه أو أخ من إخوته ما سمعت من أحدهما عن الآخر ثناءً ومحبة وحسن أُحدوثة.

وفي (ذكريات) الأستاذ الطنطاوي بأجزائها الثمانية ذكرٌ متكررٌ في كل مناسبة لرفيق عمره وصديقه وأخيه وعديله الأستاذ سعيد الأفغاني.

الأفغاني في ذكريات الطنطاوي:

طفلان لما يبلغا الحلم، اجتمعا لأول مرة في جو صفت فيه الأرواح، واستيقظت النفوس المؤمنة، وتطلع الطفلان إلى ما ينفعهما في دينهما ودنياهما، فلقد قصد كلٌّ منهما على غير معرفة بينهما الجامع الأموي في دمشق، ووقف يستمع إلى درس يلقيه عالم صالح يتحدث في الفقه والأصول، وفي الحديث النبوي، والتاريخ الإسلامي، والأدب العربي شعره ونثره.. فتعارفا في تلك الحلقة العلمية، وفي رحاب المسجد الأموي، واستمرت صلتهما الحميمية الصافية، ورحلتهما المشتركة في الحياة في هدي من ذلك الجو الروحي المشبع بالإخاء وبالصفاء..

لقد كان عمر الأستاذ الطنطاوي يومذاك إحدى عشرة سنة، وكان عمر الأستاذ الأفغاني عشر سنوات؛ فلقد ولد الأستاذ الطنطاوي سنة (١٩٠٨م) وولد الأستاذ الأفغاني سنة (١٩٠٩م)، وكان اجتماعهما في

حلقة الشيخ التونسي الصالح (الشيخ صالح التونسي) في المسجد الأموي سنة (١٩١٩م/ ١٣٣٨هـ). وقد ذكر ذلك الأستاذ الطنطاوي في ذكرياته فقال: «كانت حلقة الشيخ صالح كالمدرسة الجامعة؛ فيها حديث، وفيها قواعد في المصطلح وفي الأصول، وفيها تاريخ وشعر وأدب. . . وكان الشيخ فصيحَ العبارة، طلق اللسان، كثير السجْعِ، يأتي معه عفواً بلا تكلف بلهجته التونسية الجميلة»[١].

. . وفي هذه الحلقة عرفتُ أول مرة الأستاذ الأفغاني سنة (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م)، واستمرت صحبتنا العمر كله، ثم صار عديلي (جدُّ زوجتينا والد أمهما الشيخ بدر الدين الحسني أكبرُ علماءِ الحديث في الشام)[٢].

ووصف الطنطاوي دروس شيخه التونسي الذي لازمه فيما بعد في المدرسة الجقمقية سنين، وفي المدرسة البادرائية، وتحدث عن دروسه في المسجد الأموي، ووصف فصاحة عبارته، وطلاقة لسانه، ولهجته التونسية المحببة[٣].

واستمرت رحلة الصديقين، الطنطاوي والأفغاني، وأكَنَّ كلٌّ منهما لأخيه حباً صافياً، وإعجاباً صادقاً، عبر عنهما الأستاذ الطنطاوي في كل مناسبة، وفي كل مرحلة من مراحل حياته التي أرَّخها في ذكرياته.

ففي سنة (١٩٢٧م) قال: إنه حضر مع أخيه سعيد الأفغاني في ردهة المجمع العلمي بدمشق حفلة أقيمت لتكريم (الشاعر حافظ إبراهيم)[٤]،

---

(١) انظر: وصف الشيخ صالح ودروسه في الذكريات: ١/ ٨١.
(٢) الذكريات: ٨/ ١٥٨.
(٣) انظر: وصف الشيخ صالح ودروسه في الذكريات: ١/ ٨١ ـ ٨٤.
(٤) ذكريات: ٢/ ١٨٨.

وفي حديثه عن مكتب عنبر ـ المدرسة الثانوية الوحيدة آنذاك في دمشق ـ يقول: وإني لأذكر من رفاقي في مكتب عنبر سعيد الأفغاني. وفي سنة (١٩٣١م) ينتقل الأستاذ الأفغاني المعلم في مدرسة (منين) إلى دمشق؛ فيقول الطنطاوي: وفي سنة (١٩٣١م) كان أخي أنور العطار معلماً في مدرسة (منين)، خلفاً لأخي سعيد الأفغاني[١].

وحين يذكر مدرسة الآداب العليا يسمي مديرها وأساتذتها، ويعدد رفاقه الذين كانوا من أصغر طلاب المدرسة؛ ومنهم أنور العطار، وسعيد الأفغاني، وجميل سلطان، وزكي المحاسني، وأبو سَلْمى عبد الكريم الكرمي[٢].

وعن سنة (١٩٣٣م) يقول: إنه لما عاد منير العجلاني من فرنسة دعا إلى إقامة مجمع أدبي يعمل على إيقاظ الروح الأدبية في دمشق، ويتعاون أعضاؤه على الإنتاج، وكان الطنطاوي عضواً فيه مع أنور العطار وسعيد الأفغاني وجميل سلطان وغيرهم[٣].

ولا ينسى الأستاذ الطنطاوي ذكر الجلسات المشتركة التي كان يحضرها مع الأستاذ الأفغاني عقب صلاة الجمعة في المدرسة الأمينية، والتي واظب عليها أكثر من ثلاثين سنة[٤]!. وتلك التي كانت في مقهى فاروق بدمشق، والتي قال عنها: ..وفتحت قهوةٌ في طرف غوطة دمشق، عند بوابة الصالحية، كانت تدعى قهوة فاروق، وهي أشبه

---

(١) ذكريات: ٢/ ٢٩٦.
(٢) المصدر السابق: ٢/ ١٩٨ ـ ٢٠٢؛ وانظر صورة المتخرجين عام ١٩٣٢م، في الملحق ص١٣٩.
(٣) المصدر السابق: ٣/ ١٦ ـ ١٨.
(٤) المصدر السابق: ٣/ ٢٣٠.

بمتنزه، خالية من كل محرّم، تقام فيها صلوات الجماعة إذا دخل وقتها، يقعد فيها من أساتذتنا سليم الجندي، وجودة الهاشمي، ومحمد البزم، ومن إخواننا: سعيد الأفغاني، وأنور العطار، وحلمي اللحام، ومحمد الجيرودي»[١].

وقد كانت للصديقين الطنطاوي والأفغاني جلساتٌ خاصة للقراءة والمذاكرة؛ فلقد ذكر الطنطاوي أنه قرأ مع الأستاذ الأفغاني كتاب الأغاني فقال: «إني سردت كتاب الأغاني سرداً وأنا في أوائل المدرسة المتوسطة، قرأته مرة وحدي، ومرة مع رفيق العمر سعيد الأفغاني»[٢].

كما كانت لهما زيارات مشتركة يقومان بها في دمشق أو في القاهرة، منها ما ذكره عن زيارتهما للأستاذ إسعاف النشاشيبي في مصر، فقال: كنت في كثير من أيام تلك السنة (سنة ١٩٤٧م) أذهب مع الزيات رحمه الله دائماً وسعيد الأفغاني أحياناً فنسهر عنده ـ يعني الأستاذ إسعاف النشاشيبي ـ حيث ينزل في فندق الكونتيننتال في ميدان الأوبرا. . . »[٣].

ومنها التي كانت تضمه مع الأستاذ سعيد الأفغاني في دار خليل مردم بك بدمشق[٤].

ولقد كان ذكر الأستاذ الأفغاني في ذكريات الأستاذ الطنطاوي ذكراً مشفوعاً بكلمات الحب والإعجاب والتقدير، فهو لا يذكره مرة إلا ويصفه بأنه الأخ ورفيق العمر، ولا يتحدث عن علمه إلا ويعطيه حقه؛ فلقد ذكره

---

(١) ذكريات: ٤/ ٨٦.
(٢) المصدر السابق: ٥/ ١٢.
(٣) المصدر السابق: ٥/ ١١٦؛ وانظر: ٧/ ١٣٣.
(٤) المصدر السابق: ١/ ٢٠.

في مقدمة الذين نبغوا من طلاب صفّه[1] وقال عنه: «إنه مرجعٌ في قواعد اللغة العربية نحوها وصرفِها[2]، وإنه.. الذي انتهت إليه الصدارة في علم النحو في الشام»[3].

وقال: «وقد نبغ في صفنا جماعةٌ من الأعلام كسعيد الأفغاني، وجميل سلطان، وأنور العطار، وزكي المحاسني، وعبد الكريم الكرمي، ووجيه السمان، وجمال الفرا..»[4]، ورفيقنا سعيد الأفغاني الذي تسلم أمر العربية في جامعة دمشق أكثر من ربع قرن، فكان له ولمن معه عملٌ ظاهر في الدفاع عنها..»[5].

وقال: «..ومن طرائف أخبار الشهادات ومن ظرائفها أنه ذهب إلى مصر في تلك السنة التي أقمتها فيها (سنة ١٩٤٧م) اثنان من رفاقنا كلٌّ منهما عالم، بل هو مرجع في العلم الذي انقطع إليه، الشيخ مصطفى الزرقا الفقيه، والأستاذ سعيد الأفغاني النَّحْوِيّ، ذهبا ليأخذا شهادة رسمية يحتاجان إليها، لأن القانون لا يصنف إلا من يحملها على طريقة الفرنسيين.. وتبيّن من اللقاء الأول بين الأستاذ الزرقا والأستاذ الأفغاني، وبين من ذهبا ليتعلما منه، أنه أمام زميلين لا أمام طالبين، بل ربما كانا أعلم من كثير من أقرانهما من أساتذة الجامعات»[6].. رفاق العمر الذين لم يبق منهم إلا قليل من كثير مدَّ الله آجالهم، وزادهم حُسناً في أعمالهم

---

(١) ذكريات: ٨/ ٢٩٣.
(٢) المصدر السابق: ١/ ١١٣.
(٣) المصدر السابق: ٣/ ٢٣.
(٤) المصدر السابق: ٨/ ٢٩٣.
(٥) المصدر السابق: ٥/ ٢٦٦.
(٦) المصدر السابق: ٥/ ١٣٨.

كالأستاذ سعيد الأفغاني. . .»[1].

ودعا الطنطاوي إلى تكريم عدد من المعلمين فقال: «وممن أذكر الآن من قدماء المدرسين في الشام؛ ممن يستحق التكريم أحمد عزة الرفاعي، وسعيد الأفغاني، وسليم الزركلي، ومحب الله النابلسي، وحمدي الزركلي، ومصطفى الصواف»[2].

ولطالما سمعت من أستاذي الأفغاني رحمه الله ثناءَه العاطر على صديقه (الشيخ علي) ـ على حدّ قوله ـ وإعجابه بمواقفه الجريئة؛ فلقد كانا ـ رحمهما الله ـ يصدران عن فكر واحد، وينحوان في السلوك منحىً واحداً. . .

إنهما اجتمعا أول ما اجتمعا طفلين في الجامع الأموي؛ شدَّتهما فيه حلقة درس لشيخ صالح، وعاشا عمريهما متصافيين، أخوين، وصديقين، ثم عديلين. . وجمع بينهما الموتُ في مكة المكرمة؛ فلقد قضى الطنطاوي السنوات الأخيرة من عمره في مكة وجدة، وغادر الأفغاني دمشق قبل وفاته بأشهر ليقيم عند ابنته قريباً من رفيق عمره في مكة وجدة حيث توفي سنة (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، ولم تطل بالطنطاوي الحياة بعده فتبعه سنة (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، فمضيا إلى رحمة ربهما راضيين مرضيَّين بعد رحلة استمرت نحواً من ثمانين سنة، ابتدأت في الجامع الأموي بدمشق، وانتهت في مكة المكرمة قرب بيت الله الحرام.

رحم الله أستاذنا الأفغاني، فقد كان رجلاً حراً عزيز النفس، صلب العقيدة، دفّاعاً عن الحق، صدّاعاً به، وقّافاً عند حدوده، وكان عالماً

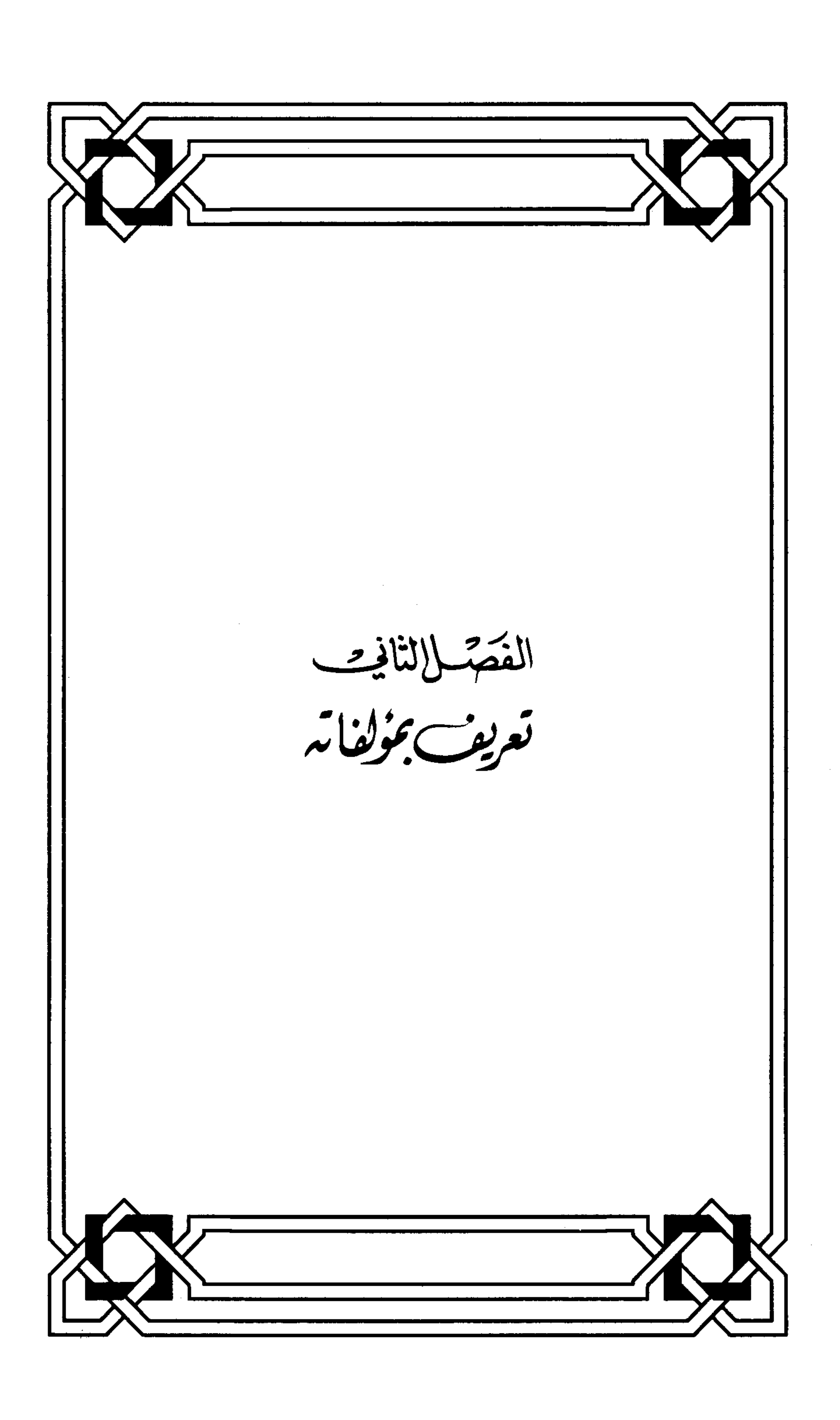
---

(١) ذكريات: ٧/ ١٣١.

(٢) المصدر السابق: ٧/ ١٧٥.

متواضعاً، ومعلماً مخلصاً، ومرشداً بصيراً، يُتبع ولا يَتبع، تمثل الإسلامَ عقيدةً وسلوكاً، وأحبَّ العربية، ووقف عليها حياته وجهده، وسخَّر لها لسانه وقلمه، وأعطى الثقافة العربية واللغة العربية ما لم يعطهما الكثيرون من المثقفين العرب.

* * *



الفصل الثاني

تعريف بمؤلفاته



الفصل الثاني

تعريف بمؤلفاته

أولاً ـ الكتب المؤلفة والمحققة[1]

١ ـ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام.

٢ ـ الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة.

٣ ـ الإسلام والمرأة.

٤ ـ عائشة والسياسة.

٥ ـ ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة.

٦ ـ سير النبلاء (جزء خاص بترجمة الإمام ابن حزم الأندلسي).

٧ ـ سير النبلاء (جزء مخصوص بأبرز امرأة في تاريخ الإسلام عائشة بنت أبي بكر الصديق).

٨ ـ تاريخ داريا.

---

(١) نسبت فهارس بعض المكتبات العامة كتابين إلى الأستاذ سعيد الأفغاني وهما (نابغة الشرق السيد جمال الدين الأفغاني) و(شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي: مبادئه وآراؤه الكلامية والروحية) والحق أن هذين الكتابين هما من تأليف رجل آخر هو (محمد سعيد عبد المجيد الأفغاني) المدير السابق لدار العلوم الإسلامية في (نجم المدارس) في ولاية (تنكرهار) في أفغانستان.

٩ ـ مذكرات في قواعد اللغة العربية .

١٠ ـ في أصول النحو .

١١ ـ من تاريخ النحو .

١٢ ـ الإغراب في جدل الإعراب لابن الأنباري .

١٣ ـ لمع الأدلة لابن الأنباري .

توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب = الإفصاح .

١٤ ـ الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب .

١٥ ـ ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل .

١٦ ـ من حاضر اللغة العربية .

١٧ ـ نظرات في اللغة عند ابن حزم .

١٨ ـ الموجز في قواعد اللغة العربية .

١٩ ـ حجة القراءات .

٢٠ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب .

* * *

١ ـ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام

تأليف: سعيد الأفغاني

الطبعة الأول في المطبعة الهاشمية بدمشق
١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م[١]

«بحثٌ عرضَ لأسواق العرب وما كانت عليه في الجاهلية والإسلام، وما قامت به من عمل في خير العرب ولغتهم».

«مهّد للكلام على الأسواق ببحوثٍ وثيقة العلاقة بموضوع الكتاب؛ كبيوع الجاهلية ورباها، وأسهبَ في الكلام على قريشٍ، لأنهم هم الفريق التاجر من العرب. وحرص أن ينقل القارئ إلى جوٍّ تلك الأسواق فيراها كما هي»[٢].

«في البحوث أدب جمّ، وتاريخ كثير، كما فيها صناعة وتجارة، وعرض لعادات العرب في أسواقها ومجالسها الأدبية وبلاغتها النثرية والشعرية، حتى النحو كان له بعض النصيب، لأن إحدى الأسواق كانت تقصدُ من أجل مادة يستعين بها النحو في تنظيم قواعده وتبويب فصوله».

يبدأ الكتابُ بمقدمة تحدث المؤلف فيها حديثاً جميلاً مفيداً عن معارض الشام في عصره وعن سبب تأليف الكتاب[٣]. ويضم ثلاثة أبواب:

---

(١) وأعادت طبعه مؤخراً دار العروبة في الكويت.
(٢) أسواق العرب، ص١١.
(٣) المصدر السابق، ص١١ ـ ١٢؛ تاريخ المقدمة ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م.

الأول: يضمُّ الحديث عن التجارة عند العرب، وبيوع الجاهلية وأنواعها: من رمي بالحصاة ومنابذة وملامسة ومعاومة ومزابنة ومحاقلة ومخابرة... وغيرها. ويختم هذا الحديث عن موقف الإسلام من هذه البيوع.

ثم ينتقل إلى الحديث عن ربا الجاهلية، وعن المحلِّين والمحرِّمين والحمس.

وأما **الباب الثاني** فيقف المؤلف فيه عند (قريش)، ويتحدث عن سبب التسمية بقريش، ويفصل الحديث عن ساداتها ووظائفهم ومكانتهم، وما دار بينهم من أحداث، ثم يتحدث عن قريش عامة وما عرف به القرشيون من مهارة في التجارة، وما عرفوه في حياتهم من أسفارٍ وأقوامٍ واختلاطٍ.

ثم ينتقل إلى (إيلاف قريش) ومعنى الإيلاف، وما عقدته قريشٌ من معاهدات تجارية.

وجعل الفِقْرةَ الثالثةَ من هذا الباب لحلف الفضول، ففصَّل الحديث عنه، وعن أسبابه ودواعيه ونتائجه، ورأى فيه محكمةً تجارية، وقوة تنفيذية للمشكلات التجارية التي نشأت آنذاك.

ووصل في الفقرة الرابعة إلى حرب الفجار وأسبابها وأيامها.

وأما **الباب الثالث** فكان باب أسواق العرب، فصَّل الحديثَ فيه عن نحو عشرين سوقاً من أسواق الجاهلية، وعرض أمثلةً وحوادثَ تصوّر ما كان يجري في تلك الأسواق من منافسات اجتماعية وتجارية وأدبية ومفاداة أسرى...

ثم انتقل إلى الحديث عن الأسواق في الإسلام، فتحدث عن البصرة حيث سوق المربد، فوصف البصرة ثم تحدث عن سوقها، وما كان فيه من عادات وإنشاد شعرٍ ومنافرات..

وختم الكتاب بفهارس للأعلام والأماكن والأسر والأمم والمصادر والأشعار والموضوعات، وقد نيف على خمسين وأربعمئة صفحة.

والجدير بالذكر أن الكتاب مزود بجدول عام لأسواق العرب كما ذكرها المؤلفون[1]، وبخارطة تبين أماكن الأسواق في جزيرة العرب[2].

والكتاب يعد من أوسع المصادر وأجمعها في موضوعه.

* * *

(١) أسواق العرب، ص١٩٣.
(٢) المصدر السابق، ص١٩٤.

٢ ـ الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة

الطبعة الأولى في المطبعة الهاشمية
١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م[(١)]

(الإجابة) كتابٌ ألفه الإمامُ بدر الدين الزركشي (توفي ٧٩٤هـ)، صاحب كتاب (البرهان في علوم القرآن)، وحققه ووضع مقدمته وتعاليقه وفهارسه أستاذنا الأفغاني.

قال المحقق في مقدمته: «سلختُ سنين من دراسة السيدة عائشة، كنتُ فيها حِيال معجزةٍ لا يجد القلم إلى وصفها سبيلاً، وأخصُّ ما يبهرك فيها علمٌ زاخرٌ كالبحر: بُعدَ أغوار، وتلاطم أمواج، وسعة آفاق، واختلاف ألوان، فما شئت إذ ذاك من تمكن في فقه أو حديث أو تفسير أو علم بشريعة أو آداب أو شعر أو أخبار أو أنساب أو مفاخر أو طب أو تاريخ.. إلا أنت واجدٌ منه ما يروعك عند هذه السيدة، ولن تقضي عجباً من اضطلاعها بكل أولئك وهي لا تتجاوز الثامنة عشرة»[(٢)].

وفصَّل الحديث بعد ذلك عن موضوع الكتاب ذاكراً البيئة التي عاشت فيها السيدة عائشة، واستقت منها علومها ومعارفها، حتى «بنت مجداً باذخاً لتاريخ المرأة العلمي في الإسلام».

وتحدث بعد ذلك عن الإمام الزركشي، وعدَّد آثاره وعرَّف بها، وذكر نفاسة النسخة الخطية للكتاب، وما قام عليه عمله في تحقيقها، ثم

---

(١) أعيد طبعه في المكتب الإسلامي في بيروت عام ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
(٢) الإجابة، المقدمة، ص٣.

أثبت صوراً لبعض صفحات المخطوطة.

وقد جمع الزركشي في كتاب الإجابة «ما تفردت به الصدّيقة عائشة، أو خالفت فيه سواها برأيٍ منها، أو كان عندها فيه سنة بيّنة، أو زيادة، أو أنكرت فيه على علماء زمانها، أو رجع فيه إليها أجلة أعيان أوانها، أو حررته من فتوى، أو اجتهدت فيه من رأي رأته أقوى...»[١].

وجعله في بابين، ترجم في أولهما للسيدة عائشة وتحدث عن حالها وخصائصها، وخصَّ الباب الثاني بما استدركته على أعلام الصحابة كعمر بن الخطاب، وعلي ابن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي موسى الأشعري، وزيد بن ثابت وغيرهم.

وصنع المحقق للكتاب فهارس للأعلام والجماعات والأماكن والكتب، وختمها بفهرس الموضوعات[٢].

* * *

---

(١) المصدر السابق، ص٣٢.

(٢) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد ١٦: ١، ٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦)، ففيها استدراك ورجاءٌ حول كتاب (الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة) والمجلد ١٧: ١، ٢/ ٣٨٥ ـ ٣٨٧، ففيه رد المحقق على نقد لكتاب (الإجابة).

ونشرت مجلة التمدن الإسلامي بدمشق (الجزء ٤، ٥، ٦) مقالات الأستاذ الأفغاني عن الإمام الزركشي أيضاً.

٣ ـ الإسلام والمرأة

الطبعة الأولى في المكتبة الهاشمية بدمشق
١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م[١]

«كان هذا الكتاب في الأصل تمهيداً ومدخلاً لدراسة واسعة عن السيدة عائشة، ولقد يسر الله إعادة كتابته بعد فقدان الأصل، وهو أساسٌ وتمهيدٌ لكل دراسة عن المرأة العربية خاصة، والمسلمة عامة»[٢].

وقد قال أستاذنا الأفغاني ما قال لأنه جعل منهجه في كتابه: «أن يقرر واقعاً، ويبين عن حق» وقال: «فلا أتكلف اختلاق حسنةٍ ولا محوَ سيئة، مستنداً إلى ما ثبت لديَّ من حقائق، وسواءٌ عليّ بعدُ: أنُسِبْتُ إلى شعوبية أم غلوّ في عروبة، مادمتُ راعياً للعلم أمانتَه بإخلاصٍ، بريئاً ـ على قدر طاقتي ـ من هذه الموجات العصبية الطاغية».

«وقد جعلت اعتمادي في هذا البحث على مصدرين اثنين هما: القرآن الكريم، والحديث الصحيح، ضارباً صفحاً عن قصصٍ وأخبارٍ مستفيضة في كتب السير والأدب»[٣].

ويقصر المؤلف دراستَه للمرأة على عصرها الأول ـ بين جاهليتها وإسلامها ـ وهو للمرأة العربية عصرها الذهبي بلا مراء. إذ فيه رفع

---

(١) أعيد طبعه في دار الفكر ببيروت.
(٢) الإسلام والمرأة، ص١٠.
(٣) المصدر السابق، ص٤.

الإسلامُ من النساء طبقةً رفيعةً مختارة، جعل لها من التقديس والاحترام منزلة دون الأنبياء، وفوق الخلفاء، وحسبُك بهذا السموّ تشريفاً لمقامها إلى الأبد»[1].

ويرى «أن النهج القويم لطالب الفهم الصحيح لنظرة الإسلام إلى المرأة أن يتحراه في مصادر الإسلام الأساسية ومنابعه الرائقة، وبيئاته الأصلية، وعند أهله الأولين قبل أن تشوب المجتمع العربيَّ الشوائب الأجنبية، وتفسده العناصر الدخيلة وزيف الحضارات المتفسخة»[2].

وقد جعل المؤلِّف كتابه بابين:

الأول هو: (المرأة العربية في نشأة الإسلام) وأصلُ هذا الباب محاضرةٌ ألقاها المؤلف في المجمع العلمي العربي بدمشق عام (١٩٤١م) وهو في فصول:

الأول: عن المرأة في الجاهلية.

والثاني: عن مظالم الجاهلية للمرأة.

والثالث: عن صنيع الإسلام للمرأة.

والرابع: عن شخصية المرأة الحقوقية.

والخامس: عن جهاد الرسول ﷺ في سبيل المرأة.

وأما **الباب الثاني** فكان عن أمهات المؤمنين، وهو في فصول:

الأول: عن أزواج الرسول ﷺ وسبب تعدّدهن.

والثاني: عن التشريع الخاص بأمهات المؤمنين.

---

(١) المصدر السابق، ص٧.

(٢) الإسلام والمرأة، ص٩.

والثالث: في إجمال سيرته ﷺ معهن.

والرابع: في سيرتهن بعده، وعنايةُ الخلفاء بهن.

والخامس: في منزلتهن الاجتماعية، ومشاركتهن في الأمور العامة.

وختم المؤلف كتابه بخاتمة ذكر فيها بيوت أمهات المؤمنين وتاريخ هدمها، وبكاء الناس عليها.

وجعل للكتاب فهرساً تفصيلياً بأبوابه وفصوله وموضوعات كل منها.

وقد طُبعَ الكتاب في مطبعة الترقي بدمشق، بلا تاريخ، على أن مقدمة المؤلف مؤرخة في ربيع الأول ١٣٦٤هـ/ آذار ١٩٤٥م[1].

* * *

---

(١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٢٠: ١، ٢/ ٣٧٢، ففيها كلمة للشيخ عبد القادر المغربي عن كتاب (الإسلام والمرأة).

٤ ـ عائشة والسياسة

الطبعة الأولى في لجنة التأليف والترجمة
بمصر عام ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م[1].

يقول الأستاذ محب الدين الخطيب في العدد (٨٥٥)، ص٨ من مجلة (الفتح) الصادر بتاريخ جمادى الأولى (١٣٦٧هـ) عن الأستاذ الأفغاني: «وقد نشر أخيراً أثناء مقامه بيننا في مصر كتاباً نفيساً من تأليفه بعنوان (عائشة والسياسة)».

يضم الكتاب مقدمة وستة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة (بين يدي الكتاب) كما سمّاها فهي في ثلاثة أقسام:

ذكر في **القسم الأول** ما في موضوع الكتاب من حرج، وما اتبع فيه من منهج متحرر من الآراء والمذاهب التاريخية، مؤمن بأن الإنسان كائن اجتماعي لا يمكن أن يحكم تاريخه قانون آلي بعيد عن الروح والعاطفة.

وأن عصره عصر أعنف نشاط سياسي شهدته الجماعة الإسلامية، وأنه لا يجوز الاكتفاء بالمصادر التاريخية، فكم من حقائق خلت منها تلك المصادر، وزخرت بها كتب الأدب ودواوين الشعر، على أن تاريخ الطبري أقربُ المصادر من الواقع لذلك جعل جلّ اعتماده عليه.

---

(١) وأعيد طبعه في دار الفكر ببيروت عام ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

وينبه على أن التعصب عدو العلم، فليكن ما يعتقده الإنسان في حوادث التاريخ وأشخاصه مذهباً شخصياً يحتمل الخطأ، على أن يأخذ نفسه بشيئين هما: **الإخلاص في البحث**، وما **يقضي به العقل الحر بعد بذل الجهد والتجرد من كل عصبية**.

ويربط كتابه هذا بكتابه (الإسلام والمرأة)، ويرى أن الثاني توطئة ومقدمة للأول لا غنى للقارئ عن قراءته قبله.

ويلفت النظر إلى أنه نظر إلى الحوادث من الجهة (العائشية)، مما جعله يسلك منهجاً خاصاً، استفاد فيه من أحسن مزايا مناهج القدماء والمحدثين، وأنه لم يختم الكتاب بوفاة السيدة عائشة، بل تتبع آثارها السياسية في حياة المجتمع الإسلامي المستمرة المتجددة.

وأما **القسم الثاني**: فهو تمهيد للموضوع تناول فيه الحديث عن المرأة والسياسة، ونحا فيه نحو القول بأن المرأة ريحانة وليست قهرمانة، وأن المجتمع الذي تخلّت المرأة فيه عن البيت مجتمع خسر طعم السعادة، وانهار فيه بناء الأسرة ذو الجو المحبب العَطِرِ الجميل الحنون.

ولم يغفل المؤلف عن التمييز بين مشاركة المرأة في السياسة ـ وهي مشاركة ذميمة ـ وبين مشاركتها للرجل في الجهاد، وهو أمر ليس لأحد أن يحرم المرأة شرفه، فالمرأة والرجل في الجهاد سواء، كلّ يشارك بحسب استعداده واختصاصه. وعرض لأمثلة تاريخية عن جهاد المرأة وكفاحها مع الرجل، وانتهى إلى القول: «مِنْ شأن السياسة المزالق الخفية الخطرة، فهي على المرأة حرامٌ صيانةً للمجتمع من التخبط وسوء المنقلب، أما الجهاد فطريق لاحبة مضمونة الخير، فللمرأة أن تأخذ من هذا الشرف نصيبها الأوفى».

وأما **القسم الثالث** فكان تعريفاً بالسيدة عائشة منذ ولدت إلى بداءة

خلافة عثمان، وهي المدة التي عاشتها في عهد الرسول ﷺ وخلافة صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولم يكن لها فيها أثر سياسي مما جعل الكتاب يبدأ بعد ذلك بابَه الأول بعنوان (في عهد عثمان).

يتحدث في تمهيدٍ لهذا الباب عن حياة السيدة عائشة في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، واقتصارها على الرواية والتحديث عن رسول الله ﷺ، وانتقالها في عهد عثمان رضي الله عنه إلى المعارضة السياسية التي استغلها أصحاب الكيد والفساد حتى آل الأمرُ إلى ما لم تكن تحب، وخرج الأمر من يدها، وكانت ـ فيما بعد ـ أشدَّ الناس ألماً وحسرة على ما فعلت. ويمضي في الحديث بعد ذلك مفصِّلاً ما أجمل في التمهيد، مستشهداً بالروايات والأخبار التاريخية، شارحاً في الفصل الأول كيف ساءت العلاقة بينها وبين الخلافة، وكيف نصبت نفسها محامية عن الحق العام، ذائدة بعنفٍ عن كل مظلوم.

ويشرح في **الفصل الثاني** موقف عثمان بن عفان رضي الله عنه واحتجاجه، وردّه على ما أخذوا عليه، ونوّه برأي سعيد بن المسيّب، وإعجابه بقوله: «قتل عثمان مظلوماً، ومن قتله كان ظالماً، ومن خذله كان معذوراً»[1] وفصّل مقدمات مقتله، وعرض لمصرعه، وكيف وقع، ومن شارك فيه، وموقف كبار الصحابة منه.

ووقف في **الفصل الثالث** عند أبطال الفتنة الحقيقيين، ونصيب عائشة منها. وانتهى في هذا الفصل إلى أن ما ذكره المؤرخون من تبعات قتل عثمان على بعض الصحابة كعليٍّ وطلحة والزبير وعائشة تبعات ثانوية، وأما الأسباب التي أرَّثت الشر، وأوقدت الفتنة فهي مؤامرة واسعة محكمة، سهر عليها أبالسةٌ خبيرون، سددوا خطاها، وتعهّدوها في جميع

---

(١) عائشة والسياسة، ص٤٨.

الأقطار حتى آتت ثمرها، وهي مؤامرة لم تلق في نظر المؤلف من المؤرخين عامةً ما تستحقُّ من التحري والاهتمام.

ويجزم المؤلف أن وراء تلك المؤامرة ابن السوداء ـ عبد الله بن سبأ ـ الذي عقد له فصلاً عنوانه (ابن سبأ البطل الخفي المخيف)، تحدث فيه عن أصله اليهودي، وذكائه وحنكته، وطوافه أقطار الخلافة مفسداً ومفرّقاً بين المسلمين، مستغلاً الناقمين والطامعين إلى المنافع، حتى كان له منهم حزب خطر هدَّام، له في كل قطر أصابع وفروع.

وعقد **الفصل الرابع** لدفع الاتهامات الخاطئة للسيدة عائشة، وناقش رواية ابن أبي الحديد وسفّهها، ورأى أن ما يُعزى إلى عليٍّ وطلحة وعائشة والزبير لا يعدو كونه غضب النصيح من محبوب يعصيه. ووصف موقف عائشة وأقوالها بعد مقتل الخليفة عثمان.

وأما **الباب الثاني** فعن مواقف السيدة عائشة في عهد علي حتى يوم الجمل، وهو في ستة فصول: تناول في **أولها** طبيعة العلاقة الماضية بين علي وعائشة، فبيّن استياءها من بعض مواقفه. وتضايقها منه.

وتناول في **الفصل الثاني** موقف السيدة عائشة من بيعة علي، ومواقف طلحة والزبير وبني أمية، ومواقف الناس والأمصار عامة من البيعة.

وجعل **الفصل الثالث** للحديث عن سفر عائشة إلى البصرة، وما أعدّ له وكيف تمّ.

وألحقه في **الفصل الرابع** بحديث عن لحاق علي بأصحاب الجمل، وما كان حول ذلك من إعداد واتصالات بأصحابه وبعائشة.

وكتب في **الفصل الخامس** عن مساعي أصحاب الصلح.

وختم الباب الثاني **بالفصل السادس** الذي تناول فيه كلَّ ما ساق إلى يوم الجمل الأكبر من اتصالات ومراسلات وأحداث.

وجعل **الباب الثالث** ليوم الجمل الأكبر.

وفي **فصله الأول** فصَّل الحديث عن اتصالات علي وسفاراته ومراسلاته، وعرض لموقف أبي موسى الأشعري وما انتهى إليه.

وجعل **الفصل الثاني** خاصاً بسفارات علي ومراسلاته إلى أهل البصرة.

وتناول في **الفصل الثالث** أخبار معركة الجمل وما سبقها وما رافقها وما حدث بعدها.

وخصَّ أخبار قتلاها **بالفصل الرابع**.

وأما **الفصل الخامس** ـ وهو آخر فصول الباب ـ فقد أفرده للحديث عن آخر أيام السيدة عائشة في البصرة.

ووقف المؤلف في **الباب الرابع** عند (حرب الجمل) يحلل ويوضح عوامل تلك الحرب المباشرة وغير المباشرة، أو القريبة والبعيدة ليصل في **الفصل الثاني** من الباب إلى توزيع تبعات تلك الحرب المشؤومة على أصحابها. وكان رأي المؤلف أن الذي يحمل شر تلك الفتنة مباشرة هم أصحاب عبد الله بن سبأ، وأما الذي يحمل التبعات غير المباشرة أو الثانوية ممن قصّر أو أخطأ في اجتهاده، أو انصاع إلى طموحٍ في نفسه، أو غلبته منافسته لأخيه، أو تقصيرٌ في حق، أو خذلان لعثمانَ، أو مجاهرةٌ بنقده. فأوفى الناس نصيباً الأمويون، ثم طلحة فالزبير فعائشة فعلي.

وكان **الباب الخامس** بعد ذلك للحديث عن حياة عائشة السياسية بعد حرب الجمل، فبيّن ندمها واستغفارها، وأورد كلامها في ذلك،

وانقطاعها إلى العبادة والصدقة ونشر العلم وبيان السنة.

وعرض ذلك كله في فصلين جعل **أولهما** لموقف عائشة من خصومها السياسيين، وجعل **الثاني** لعرض مواقف متفرقة من كثيرين ممن عاصروها وشاركوا في الأحداث، كأخيها محمد بن أبي بكر ومعاوية وابنه يزيد ومروان وغيرهم، وختمه بوفاتها سنة ثمان وخمسين، وبقولها وهي تحتضر: «إن يومَ الجملِ معترضٌ في حلقي، ليتني كنتُ نسياً منسياً»[١].

وكان **الباب السادس** وهو آخر أبواب الكتاب في ثلاثة فصول؛ تناول **الأول** منها الحديث عن عائشة في نظر الفرق الإسلامية، وفي **الثاني** انقسام الرأي العام في أنصارها، وفي **الثالث** آراء الفرق الإسلامية من سنة وخوارج ومرجئة ومعتزلة وشيعة في أعمالها.

وكانت **الخاتمة** عرضاً لما يراه المؤلف من عبرة في تلك الأحداث التي عرضها الكتاب، وتتلخص بأن المرأة لم تخلق للسياسة، وأن ثمرة الخلاف مرةٌ أليمةٌ، وقد ذاقت أمتنا مرّه وألمه قديماً فلا نجعلن الأحقاد والعداوات تتوارث إلى يوم الدين، والأمم من حولنا كالجياع على القصاع كما أخبر بذلك الرسول الأعظم ﷺ.

وألحق في آخر الكتاب مسارد للأعلام والجماعات والأماكن والأيام والمصادر والموضوعات[٢].

* * *

(١) عائشة والسياسة، ص٢٩٠.

(٢) في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٤٩: ١/ ٦٥٨ ـ ٦٦١، كلمة للأستاذ الأفغاني عن قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب السيدة عائشة.

٥ ـ ابن حزم الأندلسي
ورسالته في المفاضلة بين الصحابة

الطبعة الأولى في المكتبة الهاشمية بدمشق
١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م[١].

وجد الأفغاني في ابن حزم مثلاً أحبه، لأن فيه مشابه من سلوكه، تستطيع أن تستشفَّ ذلك من العاطفة المبثوثة المتدفقة التي واكبت مقدمته للكتاب، بعد أن ملأت عليه نفسه وقلبه. قال: «ولو لم يكن في ابن حزم إلا أنه حر الفكر، قوَّال بالحق، جبَّاه به، حتى ألَّب عليه الجنَّ والإنس، لكفى بذلك حافزاً لمثلي على حبِّه وإكباره، ودراسة حياته، ونشر فضائله، والمساهمة في تخليد اسمه»[٢].

«وما أكثر ما يلقى من نصبَ نفسَه لقولِ الحق والصدع به بمزاجٍ مثل مزاجِ ابن حزم صراحةً وصدقاً وعدمَ مبالاة وإهمالاً للعواقب تجرُّ عليه ما جرَّت»[٣].

الكتاب قسمان:

القسم الأول: حياة ابن حزم: تناول المؤلف فيه عصر ابن حزم (٣٥٠ ـ ٤٧٠هـ) في الأندلس، وابن حزم علم من أعلام الدين والشعر والأدب والسياسة والتاريخ والفلسفة.

---

(١) أعيد طبعه في دار الفكر عام ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.
(٢) ابن حزم ورسالته في المفاضلة بين الصحابة، المقدمة، ص٥.
(٣) المصدر السابق، ص٦٩.

تحدث بتفصيل عن أصله، ونشأته وشبابه، ودراسته ومصنفاته، وعرض لشيوخه وتلاميذه، ووقف عند مذهبه الظاهري، ثم عرض لأدبه وحبّه وأخلاقه، وعلاقته بالناس.

لم ينسَ في القسم الأول أن يبين أثر النشأة الأولى والبيئة المترفة والعيش على أيدي النساء في (تكييف) عبقرية ابن حزم، الذي نشأ على صورة فذَّةٍ، لم يشبهه فيها أحدٌ من أعلام الإسلام لا في الشرق ولا في الغرب، ذلك أنه نشأ في حجور العالمات المربيات من أهل بيته[1].

وأشار إلى ما تعرّض له من تقلبات السياسة ومصائب الزمان، ووصف إقباله على العلم «حتى كان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ، وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر، وأصبح أجمعَ أهلِ الأندلس قاطبةً لعلوم الإسلام»[2].

«ليس للظاهرية مثله في جميع العصور، وأكاد أقول: ما رأيتُ أحداً بعد الصدر الأول من الأئمة فَهِمَ الشريعةَ حقَّ الفهم، وأفهمها بإخلاصٍ وصدقٍ وحماسةٍ مثل رجلين: ابن حزم هذا في المغرب، وابن تيمية في المشرق، أرسلهما الله على أهل الدسّ والدخائل الخبيثة، الذين أرهقوا جسم الإسلام بما حشوه من بدع المجوسية والنصرانية واليهودية، فكانا عليهم، وعلى ما أتوا به، صاعقةً مثل صاعقةِ عادٍ وثمود»[3].

وعرض لمصنفاته مرتبةً على حروف المعجم، فبلغت ثلاثة وخمسين كتاباً، وعلّق بعدها بقوله: «ولاشكَّ أن له كتباً كثيرة ضاعت أسماؤها..»[4].

---

(١) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة، ص٢٣ ـ ٢٤.
(٢) المصدر السابق، ص٤٠.
(٣) المصدر السابق، ص٤٣.
(٤) المصدر السابق، ص٦٠.

وحين عرض لمذهبه وقف عند الظاهرية، وأول من قال بها، وبيَّن موقفهم من القياس، ووقوعهم بين التشدد والتسامح[1].

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن أدبه، فتحدث عنه حديث المعجب، وقرنه بالجاحظ قائلاً: «إنه لا يعرف من الأدباء الموهوبين في القرون الخمسة التي تلت الهجرة غير اثنين فقط: **الجاحظ في المشرق وابن حزم في المغرب**، على تفاوتٍ بين الرجلين وميزاتٍ لكلٍّ منهما على الآخر»[2].

وفصَّل الحديث عن أدبه وشعره وأسلوبه وخصائص نثره مستشهداً بنصوص من آثاره.

وتحدث عن حبه، وما يتصل به من أسباب، وعرض لـ(طوق الحمامة) وقال: إن من نعم الله على المكتبة العربية أن يسلم لها مختصرُه. وذكر أمثلة مما وقع لابن حزم. وانتهى إلى أنه رجلٌ نادرُ المثالِ في الرجال المحبين نبلاً وسموّاً في عاطفته، وعزة نفسه، ورقّة حسه، وطهارة ذيله.

وتحدث بعد ذلك عن أخلاقه، فردّ بعض ما قيل عنه، وأثنى على وفائه، وعزة نفسه، وصدقه حتى في الحديث عن أسراره، وعفَّته على ما كان في بيئته من شهوات متاحة.

ووصف مزاجه الحادَّ العنيف، وما جرّه عليه من خصومات، وما دفعه إليه من أحكام بالضلال والفسوق والكفر والمروق، وعدَّ ذلك هفوةً من ذلك العالم الجليل، الذي عرفه بعضُهم بحدَّة الطبع وطولِ اللسان والاستخفاف بالكبار.

---

(١) في مجلة التمدن الإسلامي بدمشق، (الظاهرية وابن حزم) للأستاذ سعيد الأفغاني، السنة (٦)، ص١٧.

(٢) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة، ص٧٢.

وبيّن أثر طبعه ومزاجه في علاقاته الاجتماعية، فتحدث عن ابن حزم والناس في فصل خاص، ذكر فيه كثيراً ممّا أصاب ابن حزم من الناس في حياته وبعد مماته[1].

وأما **القسم الثاني** فكان رسالة ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة، حققها وعلق عليها.

وقدَّم بين يدي الرسالة؛ فعرّف بها، ونبّه على ما فيها من كلام، كان يتمنى حذفه لولا أمانة التحقيق وهو كلام دفع ابن حزم إليه مزاجٌ لا حيلة لنا فيه، ولعله هو نفسه لم تكن له حيلة فيه، هو هذا العنف والسباب الذي يتخلَّل الجدل[2].

ثم قدَّم النص المحقق على الأصول المتبعة في التحقيق من تصوير صفحات من بدء المخطوطة ونهايتها.

والرسالة في **ثلاثة أبواب**:

يشمل **الأول** تمهيداً في بيان المفاضلة وعرض الآراء المختلفة، ثم رأي ابن حزم، وبيان وجوه التفاضل.

ويشمل **الباب الثاني** فضل أزواج النبي ﷺ على سائر الصحابة، وفضل بناته، وفي هذا الباب ذكرٌ لاعتراضاتٍ مختلفةٍ، وردود المؤلف عليها.

وأما **الباب الثالث** فلأفضل الصحابة بعد أزواج النبي ﷺ.

وتأتي بعد ذلك خاتمة في أنه لا فضل للقرابة في الإسلام.

---

(١) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة، ص١٣٣.
(٢) المصدر السابق، ص١٦١.

وفي الكتـاب ذيلٌ في تـراجم الأعلام المذكورين في الرسالة، ثم فهارس للأعـلام والجماعات والأماكن والكتب والآيات والأحاديـث والأشعار والأيام المشهورة والموضوعات والاستدراكات.

* * *

سير النبلاء

(١)

٦ ـ جزء خاص بترجمة الإمام ابن حزم الأندلسي

تأليف مؤرخ الإسلام

الإمام الحافظ الحجة شمس الدين الذهبي

مع مقدمة ضافية في حياة الذهبي

بقلم المحقق: سعيد الأفغاني

نشر أول مرة في المكتبة الهاشمية بدمشق
سنة ١٣٦٠ هـ/ ١٩٤١ م.

رسالة في سبع وخمسين صفحة، كتب الأستاذ مقدمتها في شعبان ١٣٦٠هـ/ أيلول ١٩٤١م، وذكر فيها أنه نشرها منجمةً في (مجلة المجمع العلمي العربي) بدمشق في العددين (٩ و١٠) من السنة السادسة عشرة، ثم جمعها، وأخرجها رسالة مستقلة[١].

ترجم في أولها للإمام الذهبي؛ فتحدث عن مولده ونسبه، وعلمه ونبوغه، وشيوخه وتلاميذه، ثم عن عمله ووفاته، وشهرته العلمية، ومنزلته بين الحفّاظ، وعدّد مؤلفاته التي بلغت عنده واحداً وتسعين كتاباً، وأورد شيئاً من نظمه، ثم بيّن مآخذ العلماء عليه.

وختم المقدمة ببيان قيمة هذه الرسالة من سير النبلاء، وذكر ميزتها في حفظ كثير من أسماء مؤلفات ابن حزم، وفي استطراد الذهبي فيها إلى الحديث عن الاجتهاد والتقليد والرياء.

---

(١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ١٦، ص٣٨٧ـ٤٠٧.

وتبدأ الرسالة في (ص٢١)، وقد أثبت على الصفحة قبلها صورةً من خط الإمام الذهبي.

أما الرسالة فيتحدث الذهبي فيها عن نسب ابن حزم ومولده (٣٨٤هـ) وشيوخه وتلاميذه ثم نشأته ونبوغه، وأقوال العلماء فيه، وإعجابهم بحفظه وفقهه، وحملة خصومه عليه، وسبب طلبه للعلم وبلوغه فيه درجة الاجتهاد، ويذكر مصنفاته وأبياتاً من شعره.

وقد بيّن المحقق كل موضوع مما سبق بذكر عنوانٍ يوضّحه، ويدل عليه.

وختم المحقق الرسالة بإثبات سماعين على مؤلفها الإمام الذهبي.

وجدير بالذكر أن ترجمة ابن حزم التي أفردها الأستاذ الأفغاني بالتحقيق والنشر، جاءت من (ص١٨٤) إلى (ص٢١٢) في الجزء الثامن عشر من كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، الذي صدر عن مؤسسة الرسالة بتحقيق الأستاذ شعيب الأرناؤوط والأستاذ محمد نعيم العرقسوسي.

وأشار المحققان إلى هذه الرسالة بقولهما: «وقد أفردتْ ترجمةُ ابن حزم بالطبع سنة (١٩٤١م) في (مجلة المجمع العلمي العربي) بدمشق، بتحقيق الأستاذ الفاضل سعيد الأفغاني، وقد ذكر أن هذه الترجمة أرسلها إليه الشيخ محمد نصيف، منقولة من نسخة لسير الأعلام بصنعاء من خزانة الإمام يحيى حميد الدين صاحب اليمن. وقد قمنا بمقابلة طبعة المجمع هذه على الأصل الذي عندنا وأثبتنا الفروق بينهما»[1].

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٨/ ١٨٤.

سير النبلاء

(٢)

٧ ـ جزء مخصوص بأبرز امرأة في تاريخ الإسلام: عائشة بنت أبي بكر الصديق

لمؤرخ الإسلام الإمام الحافظ الحجة شمس الدين الذهبي

قدّم له وضبطه وعلّق عليه ناشرُه

سعيد الأفغاني

ونشر أول مرة في المكتبة الهاشمية بدمشق.
عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.

ذكر الأستاذ رحمه الله في مقدمته اغتباطه بنشره هذا الجزء النفيس من (سير النبلاء) في سيرة أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق، أول امرأة برز اسمها في تاريخ الإسلام، وكان لها الأثر البالغ، والصيتُ البعيد في حياة العرب السياسية والدينية والعلمية والأدبية، ألّفه مؤرخ الإسلام، نابغة القرن الثامن الهجري، وأحد مفاخر دمشق الخالدة على وجه الدهر الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨هـ).

وأشار إلى أنه نشره بعد نشره لجزء آخر من سيرة النبلاء تضمن ترجمة الإمام ابن حزم، كما جاء في آخره أنه سيتبعه بعد أيام صدور كتاب (الإسلام والمرأة).

وقد أثنى المحقق أعطر الثناء على جهود المحدّثين وخاصة الذهبي لما قاموا به من خدمة العلم، والإخلاص له.

وردّ على الذين يزعمون ـ متابعين للمستشرقين ـ أن العرب عُنوا بالنقد الخارجي (نقد السند)، ولم يُعنَوا بالنقد الداخلي (نقد المتن)، وعدّ هذه الرسالة وأشباهها «مثالاً محسوساً تفتح العيونَ على النقد الداخلي، نقد المتن، وتدلّ على أن الترجمة التاريخية فنٌّ العرب الخاص، برعوا فيه براعةً بالغةً، وأن الذهبي أحد نوابغهم العظام في هذا الفن»[1].

وأما الرسالة التي تتضمن ترجمة السيدة عائشة، فقد أضاف المحقق إليها فوق كل فقرة أو موضوع عنواناً من عنده يدل عليه.

وتتضمن الترجمة ذكر نسبها (رضي الله عنها) لأبيها وأمها، وزواجها، ومن روت عنه، ومن روى عنها من الرجال ثم النساء. وبيان صفاتها ومنزلتها وفضلها وحياتها مع رسول الله ﷺ وما يتصل بخطبتها له، وزواجها به، كما تتضمن حديث الإفك ومواقف بعض الصحابة منه، وما يتصل بغيرتها، ونزول آية التيمم بسببها، ولطف الرسول بها وحبه لها، وعلمها، وتزكية ابن عباس لها... وبيان خلالها التسع، وما كان حين وفاتها، وختم ذلك كله بذكر شيء من عالي حديثها.

والجدير بالذكر أن ما وقع في أسماء الأعلام من تحريف في

---

(١) سير النبلاء، جزء مخصوص بترجمة عائشة رضي الله عنها، ص٥ ـ ٦.

هذه النشـرة تداركـه محقّق (سـير أعلام النبـلاء) للذهبي، ونبّـه عليـه في حواشي الكتاب[1].

* * *

(١) انظر ترجمة (عائشة أم المؤمنين) برقم (١٩) في كتاب (سير أعلام النبلاء) للذهبي، الذي حقق نصوصـه وخرّج أحاديثـه، وعلّق عليه الأستاذ المحقق الشيخ شعيب الأرناؤوط، وأصدرته مؤسسة الرسالة: ٢/ ١٣٥ ـ ٢٠١، ط١١ سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
وانظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٢٠: ١، ٢: ٣٦٤ ـ ٣٦٥، ففيها كلمة للشيخ عبد القادر المغربي عن سير النبلاء، الجزء الخاص بالسيدة عائشة.

٨ ـ تاريخ داريا

للقاضي عبد الجبار الخولاني

بعناية سعيد الأفغاني

من مطبوعات المجمع العلمي العربي
بدمشق ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

ثم طُبع ثانية في مطابع الشروق ببيروت ضمن منشورات جامعة بنغازي عام (١٩٧٥م) كما جاء في آخر مقدمة المحقق (ص٢٥). ووضع على غلاف الطبعة الليبية الاسم الكامل للكتاب؛ وهو: (تاريخ داريا ومن نزل بها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين). حققه وعلق عليه سعيد الأفغاني.

قدّم المحقق للكتاب بمقدمة تناول فيها التأليف في تواريخ البلدان، ثم تحدث فيه عن (داريا) وهي أكبر قرى الغوطة الجنوبية، وتبعد عن دمشق نحو ثمانية كيلومترات جنوباً إلى غرب.

وهي حاضرة العلم والأدب في الغوطة، كانت وقفاً لعامة فقراء دمشق، توزَّع عليهم غلاتها.

وتحدث المحقق بعد ذلك عن كتاب تاريخ داريا متحسراً لغياب ترجمة المؤلف وقلّة معلوماتنا عنه، مبدياً إعجابه بالكتاب لما نجده فيه من روايات ومعلومات ودقائق لا نجدها في أطول المقالات أولاً، ولإلمام المؤلف الشامل بداريا وأحوال أهلها وأصولهم وأنسابهم إلماماً صحيحاً ثانياً.

وتحدث عن النسخ الخطية للكتاب، وعن منهج نشره، وأثبت صوراً لصفحات من مخطوطاته.

ويبدأ نص الكتاب بعد ذلك، وتتعاقب فيه تراجم الصحابة والتابعين بادئة بترجمة بلال مؤذن الرسول ﷺ.

والكتاب يضم سبعاً وأربعين ترجمة موجزةً نادرةً لمن نزل بداريا من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين وتابعي التابعين، وأهل العلم على طبقاتهم وأزمانهم، وذكر وفيات أكثرهم، ومن أعقب منهم ومن لم يعقب.

ولم يرتب المؤلف التراجم على حروف المعجم، ولكن المحقق أثبت في آخره مسرداً بأعلام الناس والأماكن والكتب والأيام مرتباً على الحروف.

وألحق بالكتاب (الزيادة على تاريخ داريا) من إحدى النسخ الخطية ثم السماعات الواردة في آخر النسخة التونسية.

وصنع المحقق مسرداً بأعلام الناس والأماكن والكتب والأيام، وختم بمسرد موضوعات الكتاب كله[1].

* * *

(١) في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٢٦ : ١/ ١٥٦، كلمة للأستاذ الأفغاني يوافق فيها على تصحيح أورده المستشرق كرنكو على كتاب (تاريخ داريا).
وفي المجلد ٢٩ : ١/ ١٥٥ ـ ١٥٧، رده على تصحيح آخر للكتاب نفسه.

٩ ـ مذكرات في قواعد اللغة العربية

(من منهاج السنة الأولى في كلية الآداب) بدمشق

طبع في مطبعة جامعة دمشق، ط٤
١٩٥٥م.

وهي مذكرات في بعض بحوث النحو، عُني المؤلفُ فيها بالمسائل التي يجب أن يعرفها الطالب كما عُني بشواهدها، إذ ألحقَ بكل بحثٍ شواهده، وقدَّم بين يدي الكتاب ملاحظاتٍ مفيدة تتصل بالاحتجاج والاستشهاد والتوثيق والترجيح.

وهو كتابٌ جامعيٌّ متوسطٌ بين الإيجاز والتفصيل، وقد كان أستاذنا يؤثر لنا التوسط بين كتابي (قواعد الدروس العربية) لحفني ناصف ـ وكان معجباً به جداً ـ و(جامع الدروس العربية) للغلاييني، ويرى أن إغناء الدراسة بالشواهد ومناقشتها أمرٌ لابدَّ منه لتمكين الملكة النحوية، ويتابع تحرّينا لضبط الشاهد وفهم معناه أولاً، ثم لموضع الاستشهاد وما يتصل به من قواعد ثانياً، ثم قيمته في الاحتجاج ثالثاً.

* * *

١٠ ـ في أصول النحو

طبع في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م[1].

أصل الكتاب محاضرات كان الأستاذ يلقيها على طلابه في قسم اللغة العربية بكلية الآداب من جامعة دمشق. تناول فيها موضوعات الاحتجاج والقياس والاشتقاق والخلاف. ويقدم لموضوعه الأول بمقدمة سريعة عن تاريخ النحو والأسباب التي دعت إلى نشأته.

أما **المقدمة** فقد اهتمَّ فيها بظهور اللحن وتتابعه، وأشهر ما روي من أخباره.

وعرض في **المبحث الأول** لتعريف **الاحتجاج**، وذكر العلوم التي يحتج لها، ومن يحتجّ به وبكلامه ورواياته، وما يحتج به من الكلام.

وقد وقف المؤلِّفُ عند القرآن الكريم، وأفاض في الحديث عن الاحتجاج بجميع القراءات القرآنية، وبيّن مواقفَ النحاة من القراءات الشاذة، وحمل على من عدَّ الشذوذ في القراءة شذوذاً في العربية. ولخَّص منهجاً في الاحتجاج بالحديث النبوي، وأيّد صاحبه الشيخ محمد الخضر حسين المشهور بالتونسي[2]، وعدَّه منهجاً مرضياً مقبولاً يقوم على صحة

---

(١) أعيد طبعه مراراً في دار الفكر ببيروت والمكتب الإسلامي ببيروت.

(٢) عالم جزائري الأصل، تونسي المولد والنشأة. رحل من تونس إلى المشرق فاستقر في دمشق ثم في القاهرة، وتولى مشيخة الأزهر، كان عضواً في مجمعي دمشق والقاهرة. أنشأ الجمعيات، وأسس المجلات، وشارك في الحياة=

الاحتجاج في اللغة والنحو؛ وذلك في ستة أنواع من الحديث النبوي هي:

١ ـ ما روي بقصد الاستدلال على كمال فصاحته ﷺ.

٢ ـ ما روي من أقوالٍ كان ﷺ يتعبّد بها.

٣ ـ ما روي على أنه كان يخاطبُ به كلَّ قومٍ من العرب بلغتهم.

٤ ـ ما ورد من الحديث بطرق مختلفة واتحدت رواياته وألفاظه.

٥ ـ الأحاديث التي دوَّنها من لم يعش في بيئة فسدت لغتها كمالك والشافعي.

٦ ـ الأحاديث التي رواها من لا يجيزون الرواية بالمعنى.

وتحدث بعد عن الاحتجاج بكلام العرب، وختم بحثه بذكر بعض قواعدهم في الاحتجاج.

ولم يخلُ هذا القسم من تعليق أو تعقيب يدل على سعة اطلاع، وكثرة ممارسة ومدارسة، بل لقد رأى أستاذنا ـ رحمه الله ـ إضافة عدد من القواعد إلى ما سبق أن وضعوه من قواعد الاحتجاج وضوابطه مثل:

ـ لا يحتج للقاعدة بكلام له روايتان متساويتان في القوة، إذا كانت إحداهما لا علاقة لها بالقاعدة.

ـ لا يبنى على شاهد قبل تحرّيه والتوثّقِ من ضبطه.

ـ لا يكتفى بالكلام الأبتر.

ـ ينبغي التفريق بين ما يُرتكب للضرورة الشعرية، وما يؤتى به على السعة والاختيار، لأن جعل الضرورات الشعرية قانوناً عاماً للكلام خطأ كل الخطأ.

= العامة، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م. وله مؤلفات لغوية وإسلامية.

وختم بحثه بتعليق قيّم على صنيع النحاة والمتقدمين حول الاحتجاج.

وأما **القياس** ـ وهو الموضوع الثاني من موضوعات الكتاب ـ فقد ذكر أستاذنا نبذة من تاريخه، وتحدث عن أبرز القياسيين من النحاة، ووقف عند أمثلة من قياس الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه، ثم أبي علي الفارسي، وتلميذه ابن جني. وتناول أثر العلوم الدينية في القياس اللغوي، وبيّن احتذاء النحويين للأصوليين من الفقهاء، وسيرَهم على طريقتهم، واقتباسهم من مصطلحاتهم، وتأثرهم بالنزعة الاعتزالية العقلية، كما بين تأثرهم برجال الحديث في عنايتهم بالأسانيد وأخبار الرواة، وبالمتكلمين في ميلهم إلى التعليل، وبالفقهاء في طَرْق باب الاجتهاد وبناء القواعد على السماع والقياس والإجماع. وعقد فصلاً لأحكام القياس وبيان أركانه، وعرض لمواقف المعاصرين من القياس، وأورد بعض قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة المتعلقة بالتضمين والتعريب والمولّد والاشتقاق.

وكان **الاشتقاق** الموضوع الثالث في الكتاب؛ فعرّفه، وعدَّد أنواعه، وذكر بعض ما يتعلق به من أحكام، وما يمنع من الاشتقاق منه، وعرّف بمن أفرده بكتاب، وأنهى بخاتمة علق فيها على مواقف بعض العلماء من الاشتقاق، ودعا إلى إعادة النظر في باب الاشتقاق للإفادة مما تتصف به العربية من مرانة وطواعية.

وكان **الخلافُ** آخرَ موضوعات الكتاب، فقدّم له بلمحة تاريخية عن مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، وعن أبي الأسود، وطبقات النحاة من بعده بصريين وكوفيين، وتناول نشأة الخلاف بين الكسائي والأصمعي، ورأى أن الخلاف بين رجال الطبقة المتقدمة كالخليل والرؤاسي لم يتعدَّ المذاكرة والمخالفة والرد، لأن الدنيا لم تدخل بينهم، فقد كانوا أعفَّة

صالحين، ولكنها دخلت فيمن بعدهم فاشتدت حِدَّة العصبية، وحبُّ الغلبة، وكان ذلك أظهر على رجال الكوفة؛ لقلة علمهم بالقياس إلى علم البصريين، وعرض أمثلة لما دار بينهم من خلاف، فذكر الخلاف بين الكسائي والأصمعي، وبين الكسائي وسيبويه، وبين الكسائي واليزيدي، وبين المازني وبعض نحاة الكوفة، وبين المازنيّ وابن السكّيت، ثم بين المبرّد وثعلب، وبين ثعلب والزجاج.

وعلّق على تلك الأخبار بما يدعو إلى الشك والتوقف، لأن معظم رواتها من الكوفيين، وجعل الحق إلى جانب البصريين، ورأى حجج الكوفيين في تلك المسائل التي عرضها حججاً واهية، ولكنه عاد ليقول: إن النحو الذي وصل إلينا بصري، وإن ما وصل من النحو الكوفي فعن البصريين وكتبهم، لأن الكوفيين لم تطبع كتبهم، ولأن معظم ما اختلفوا فيه لم ينعقد فيه أو عليه إجماعٌ من أحد الطرفين. ووقف وقفة قيمة عند الفروق بين المذهبين البصري والكوفي، سواء أكان فرقاً في موقفهم من السماع أم القياس، وعلَّق بما يفيد تصحيح بعض أحكام المعاصرين في هذه المسألة.

وختم البحث بالحديث عن **أثر العصبية في الخلاف**، وردّ رأي الذين أرجعوا الخلاف إلى السياسة، وقدّم (**عامل الاجتهاد**) ورآه ذا أثر في الخلاف بين نحاة المدرسة الواحدة.

وفصّل القول بعد ذلك في أثر العصبية والتنافس، وذكر أمثلة تدل عليه، وانتهى إلى أن ذلك كان فيما بينهم، ولكنه لم يمسّ النحو، ولم يؤثر فيه بشيء، وإنما حمل النحو طابع العلماء أنفسهم في التفكير والتنسيق سعةً وضيقاً، ونظاماً وبلبلةً، وانتهى إلى نتيجتين هما:

١ ـ ليست السياسة عاملاً في تكوين النحو الكوفي.

٢ ـ إن صورة الخلاف وحدَّة التدافعِ بين المدرستين مبالغٌ فيها.

وختم البحث بعرض طائفة من كتب الخلاف، ثم بالإطلال على ما بعد عصر الخلاف، والحديث عما عرف في تاريخ النحو بالمذهب البغدادي، ثم بالحديث عن مسيرة النحو في الأندلس.

وجعل للكتاب خاتمة تحدث فيها عما ينبغي أن نصنعه اليوم للغتنا بعد أن عرفنا ما صنع لها الأقدمون، ودعا إلى تجنُّب المآخذ التي أخذناها على القدماء، إذا أردنا إعادة بناء القواعد العربية، وقال:

«إن لغة القرآن والحديث النبويّ بوجهٍ خاص، ولغة قريش بوجه عام؛ هي الغالبة الشائعة، نقرؤها في الكتب قديمها وحديثها، وفي صحف اليوم ومجلاته وجميع إذاعاته العربية الصادرة في بلاد العرب أو في البلاد الأجنبية، يستوي في ذلك أبناء العربية والذين شدَوْا منها شيئاً من الأجانب عنها.

وأظنُّ بعد ذلك أن الطريق واضح؛ فعلينا إهدار كل لغة لا نستعملها نحن اليوم، ولم تستعملها اللغة الشائعة في القرآن الكريم والحديث وكتب الأدب والتاريخ وسائر الفنون الحضارية التي خلّفها أسلافنا، ثم نؤسس قواعدنا على هذا التراث الموثوق به، والذي كفلت له أصالتُه الحياةَ؛ نستقصي مفردات القرآن وتراكيبه في جميع قراءاته، ونمعن النظر فيما اطمأننا إلى صحة صدوره عن أهل الصدر الأول من الحديث، ثم فيما نطمئن إليه من نثر الأقدمين، ثم نبني بعد هذا الاستقصاء قواعدنا على ذلك كله، متوخين أقصر الطرق وأسهلها، والأشيع ثم الأقيس فيما فيه لغتان فصيحتان.

وأنا واثق بعد ذلك أننا سنهدر ركاماً ضخماً من قواعدَ وتعريفات واستثناءات بنيت على شاهد مجهول أو لغيّة محرّفة، أو ضرورة شعرية، ونهدر إزاءه مقداراً ضئيلاً لا يعتد به من خلاف اللهجات. وتكون القواعد

هذه أقرب إلى روح العربية من القواعد القديمة التي أفقدها انسجامَها حشرُ النحاة فيها ما هبَّ ودبَّ مما لا يرجع إلى نظام، ولا يجمعه نسقٌ»[1].

وختم أستاذنا رحمه الله كتابه بما كان يختم به أكثر كتاباته وأحاديثه؛ من نقد وغمز لأهل زمانه الذين ساءه منهم قلّةٌ في الوعي والإخلاص والعزيمة؛ فقال: «الحاجة إلى الإصلاح ماسَّةٌ، والطريق إليه سالكة، والأمور مواتية، والشعوب العربية تنفق بسخاء، والعاملون الأكفياء كثيرون، وأكثر منهم الغيرُ المخلصون...، ولكن فقدنا في الذين وضعهم الزمن أيامَ الاحتلال القذر في أعلى الهرم ووكل إليهم الخطوة الأخيرة، أموراً ثلاثة: **الوعي والإخلاص والمضاء**، فضاعت بذلك كل الجهود المبذولة، شأنهم في ذلك شأن الحلقة العليا في السياسة وفي الدين وفي الاقتصاد... فحُرمتْ الأمة ببلادة هؤلاء كل خير، وذهبت جهودها وأموالها وأعمارُها، وحتى بعض بلادِها أدراج الرياح، وقد كانت على قاب قوسين من النجاح. نسأل الله أن يمنَّ عليهم جميعاً بهذه الثروات: **الإخلاص، والوعي، والمضاء**».

وفي الكتاب مسارد للأعلام والمراجع والموضوعات.

* * *

(١) في أصول النحو، ص٢٣٩، ط المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٧م.

١١ ـ من تاريخ النحو

(تاريخٌ ونصوصٌ وفق منهاج شهادة فقه اللغة في الجامعة اللبنانية)

دار الفكر بيروت ١٩٦٨م.

الكتاب كما يقول مؤلفه: «محاولة في وضع الأمور في نصابها حيال ما يسمى بالمدارس أو المذاهب النحوية من جهة، ووقفة تاريخية فاحصة متأنية عند نشأة هذا الفن من جهة أخرى»[١].

وألحق المؤلف بالكتاب نصوصاً مختارة لستة من النحاة اختارهم وترجم لهم.

تحدث في مستهل كتابه عن بوادر اللحن، ونشأة النحو، ثم عرض للمدرستين الأوليين البصرة والكوفة، وذكر نحاة الطبقتين الأولى والثانية من البصريين، ثم وقف عند الخلاف بين المدرستين، وبيّن بمزيد من التفصيل رأيه في قضية السماع والقياس عند كلٍّ من المدرستين، وعرض أمثلة للخلاف بينهما، وبين أثر العصبية في نشأة ذلك الخلاف واستمراره.

وختم حديثه عن الخلاف بذكر الكتب التي تناولت الخلاف بين المذهبين، فذكر (الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الأنباري، و(اختلاف النحويين) لثعلب، وعدّد كتب ابن كَيْسان، وأبي جعفر النحاس، وعبيد الله الأزدي، وعلي بن عيسى الرُّماني، وابن فارس،

(١) من تاريخ النحو، ص٤.

والعُكْبَرِي، وابن إياز. ثم تجاوز المدرستين وعصرهما إلى المذهب البغدادي، وانتهى إلى ما يراه من وجوب تصحيح التسمية الشائعة: المذهب البصري، والمذهب الكوفي، والمذهب البغدادي.

«وأنَّ الأصوبَ أن يقال: نحاة بصريون، ونحاة كوفيون، ونحاة بغداديون... يختلف سهم كل فريق من حيث النزعة السماعية والنزعة القياسية عن نصيب غيره كماً وكيفاً»[١].

وانتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن (المدرسة الأندلسية)؛ فتحدث عن نشأتها ونشاطها في الأندلس، وانتقال بعض أعلامها إلى المشرق، ونشر علمهم في مصر والشام، وسيادة النحو الذي نشروه، ومعظمه بصري وأقلُّه كوفي، وفي بعضه جديد مبتكر، وقال: «إن ابنَ مالك الجيّاني الأندلسي نزيل دمشق، ثم ابن هشام الأنصاري ـ ولم يكن أندلسياً ـ، جدَّدا في النحو بعض التجديد، وكانا يميلان إلى التوسعة، فرجحا في بعض المسائل أقوال الكوفيين حين رأيا الرواية الصحيحة تؤيدهم، ولم يتعبدا بأقوال البصريين، واستشهدا بالحديث فكانا مجتهدين إلى حدٍّ ما، ذوي أثر بالغ في الدراسات النحوية»[٢].

وختم بحثه بحديث مفصل عن رأيه في النحو الأندلسي وما يقال فيه، وردّ معظمه إلى المشرق قائلاً: «إن في مغرب الوطن العربي متحفاً مازال مجهولاً لآلاف المخطوطات التي لم تنشر، وإن الوصول إلى جديد نركَنُ إليه في الحكم موقوف على ظهور آثار جديدة..».

وأما النصوص فكانت من (الكتاب) لسيبويه، ومن (التصريف الملوكي) و(المنصف في شرح تصريف المازني) لابن جني، و(المفصّل)

---

(١) من تاريخ النحو، ص٩٥.
(٢) المصدر السابق، ص٩٧ـ٩٨.

للزمخشري و(شرحه) **لابن يعيش**، و(لمع الأدلة) و(الإنصاف) **لابن الأنباري**، و(الألفية) وشرحها **لابن عقيل**، و(شواهد التوضيح) **لابن مالك**، و(مغني اللبيب) و(شرح شذور الذهب) **لابن هشام**، ولم يثقلها بشرح أو حواشٍ، باستثناء تفسير كلمة أو كلمتين من الغريب في كل نص، أو عزو آية، أو نسبة بيت.

* * *

١٢ ـ الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة

نشر الكتابان أول مرة على أنهما (رسالتان لابن الأنباري)، وصدرا في مجلد واحد عن مطبعة الجامعة السورية عام ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م.

كتب المحقق مقدمةً تناول فيها حياة ابن الأنباري أبي البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري المتوفى سنة (٥٧٧هـ)، مظهراً علمه وفضله وزهده وورعه، ثم عرض لمؤلفاته وعدَّدها مرتبة على الحروف، ذاكراً مَنْ أشار إليها أو ذكرها، وقد بلغت عنده ثلاثة وسبعين كتاباً.

ثم وقف عند (فن ابن الأنباري) المتميز بأسلوبه في تأليفه وتوليده، وأستاذيته في التنسيق والعرض من بين عشرات الأساليب في مختلف الأعصار. وتحدث عن كتبه الثلاثة المطبوعة وهي: (نزهة الألباء)، و(أسرار العربية) و(الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين).

وفصّل أستاذنا الحديث عن فنون ابن الأنباري ـ وهو المعجب به ـ؛ فرآه صاحب أولية في فنون ثلاثةٍ لا ينازعه فيها منازع، ولم ينسج بعده أحدٌ على منواله وهي: (فنُّ جدل الإعراب) و(فن الخلاف) و(فن أصول النحو) على نسق فن أصول الفقه[١].

---

(١) الإغراب في جدل الإعراب، ص٢٠ ـ ٢١.

ورأى أن ابن الأنباري (أدّب) النحو بما أضفى على أسلوبه وطريقة عرضه من مائيّة وتندية، حتى إنك لن تجد في طراوة أسلوبه وسهولته أسلوباً لعالم آخر حتى ولا لابن جني، وقال: إن أصدقَ ما يوصفُ به هو أنه أسلوب رياضي جميل[1].

وينهي المحقق حديثه عن ابن الأنباري بقوله: «الابتكار والإبداع في التأليف، ثم التبسيط والسهولة في العرض، ثم الإحكامُ يسدده عقلٌ رياضيٌّ، ويصبُّه ذوقٌ رفيعٌ في أسلوبٍ طلي جميل، هذه سمات فن ابن الأنباري»[2].

وذكر المحقق بعد ذلك (مقدمة النشر)، فوصف النسخ الخطية، ثم تحدث عن الخطة التي اتبعها في التحقيق، وأتبعها بصور من صفحات المخطوطات.

وكان كتاب **(الإغراب في جدل الإعراب)** شاملاً للموضوعات المتصلة بالسائل والمسؤول به والمسؤول منه والمسؤول عنه، وبالجواب، والاستدلال، والاعتراض، والقياس، واستصحاب الحال، وترتيب الأسئلة، وترجيح الأدلة.

* * *

---

(١) الإغراب في جدل الإعراب، ص٢٢ ـ ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٤.

١٣ ـ لمع الأدلة

وأما (**لمع الأدلة**) فيشمل الحديث عن معنى أصول النحو وفائدته، وأقسام أدلة النحو، والنقل وأقسامه وشروطه، والإجازة، والقياس، والـرد على من أنكر القياس، والشبه التي تورد عليه، وأقسامه، والعلة وشروطها، والحكم وإثباته، والاستحسان، والمعارضة، واستصحاب الحال. . .

وصنع المحقق فهارس عامة للأعلام والكتب والأبيات والأرجاز والموضوعات.

* * *

١٤ ـ الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب

للحسن بن أسد الفارقي المتوفى سنة ٤٨٧هـ

صدرت الطبعة الأولى منه عن مطبعة الجامعة السورية سنة (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م) بعنوان: (توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب للرماني أبي الحسن علي بن عيسى الإمام النحوي المفسّر المتكلم المتوفى سنة ٣٨٤هـ).

وذلك لأن النسخة الباريسية التي وقف أستاذنا عليها، ولم يعثر على غيرها فحققها نسبت الكتاب إلى الرماني، ولما تبين له الصواب نشر صفحات كتب فيها: «إصلاح خطأ العنوان: شرح الأبيات المشكلة الإعراب للحسن بن أسد الفارقي.. لا توجيه إعراب أبيات... للرماني».

وما كنتُ لأشيرَ إلى هذه الصفحات التي وزّعها أستاذُنا مع الطبعة الأولى لولا أن فيها دليلاً على تواضعه وإيثاره للحقِّ وإعلانِه إيّاه.

فلقد كنتُ أحضّرُ رسالة الدكتوراه عن الرُّماني النحوي، الذي نشر أستاذنا الكتاب منسوباً إليه، فلمّا اطّلعتُ على الكتاب رأيتُ غيرَ رأيه؛ وذلك لما عرفتُه من أسلوبِ الرُّماني أوّلاً، ومن استقصاءٍ لآثاره ثانياً، وليس بينها كتاب: (توجيه إعراب الأبيات الملغزة) فبادرتُ إلى الكتابة إليه، وكانت رسالتي من القاهرة رسالةَ تلميذٍ إلى أستاذِه، يبيّن له فيها رأيَه في كثيرٍ من الخجل والحياء، فكتب إليّ شاكراً، وكلّفني مراجعةَ الفهارس والكتب المماثلة لموضوع الكتاب، فوقفت على نسخة خطية من كتاب

الفارقيّ، فوضعتُ الحقيقة بين يديه، ولما بدا له وجه الحق بادر إلى الأخذ به وإعلانه على الناس، ولمّا عاتبته لنشره اسمي، وقلت له: إنها رسالة خاصة بعثتُ بها إليه ليرى رأيه فيها، قال لي: «يجب أن يُعرفَ الحقُّ وأن يُنسب الفضل إلى أصحابه»، فكان معلم أخلاقٍ وسلوكٍ كما كان معلمَ نحوٍ ولغةٍ.

ثم أعاد نشر الكتاب باسم (الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب) لأبي نصر الحسن بن أسد الفارقي، المتوفى سنة (٤٨٧هـ). حققه وقدَّم له سعيد الأفغاني، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت.

ط١، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

ط٢، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

ط٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

وأشار في مقدمة الطبعة الجديدة المصحَّحة إلى الطبعة التي صدرت باسم (توجيه...)، والتي نسبها إلى الرماني؛ فقال: «وقبيل توزيع نسخ الكتاب علمت أن نسخة باريس التي عنها صدرت الطبعة مخطئة في اسم الكتاب واسم مؤلفه، ساقطة منها خاتمة الكتاب، وأن بروكلمان روّج هذا الخطأ بإثباته في كتابه (تاريخ الأدب العربي)، فبادرتُ إلى إيداع كل نسخة نشرة تصحّح الخطأ وترد الخاتمة، ثم نشرت النسخ».

وبعد.. ففي الكتاب أكثر من (٢٥٠) بيت جاءت ملغزة؛ إما بإملائها وألفاظها، وإما بمعانيها، وقد وجّهها الفارقي وعالجها معالجة وافية كافية.

وقد تحدث الأستاذ الأفغاني عن الكتاب وموضوعه ونسخته الخطية وخطة التحقيق في مقدمة الكتاب (ص٢٥ ـ ٣٥).

على أن مقدمة الكتاب أصبحت ملائمة لمؤلفه الحقيقي في الطبعة الثانية وما بعدها، إذ كانت في الطبعة الأولى خاصة بالرماني لا بالفارقي.

وقد ألحق بآخر هذه الطبعة مقطوعات من شعر المؤلف، ثم وضع مسرد الأعلام أفراداً وجماعات وأماكن، ومسرداً للكتب والمصادر، وآخر للقوافي، ورابعاً للمطالب (الموضوعات).

* * *

١٥ ـ ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل

للإمام الحافظ ابن حزم الأندلسي

بتحقيق: سعيد الأفغاني

ط٢ منقحة، دار الفكر ـ بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م

في الطبعة الأولى كان عنوان الكتاب مختصراً وهو: (ملخص إبطال القياس).

في المقدمة حديثٌ عن صلة المحقق العلمية بابن حزم، ثم عرضٌ للنزعة الظاهرية، وموقف الظاهريين من القياس، ولماذا وقفوا ذلك الموقف، وما أدى إليه ذلك من تشدد تمسكهم بالمنطوق الحرفي الضيق، وجورهم على مفهوم اللغة نفسها والرد عليهم، وحملات أصحاب المذاهب ضدَّهم[1].

وتحدث المحقق عن ابن حزم نفسه، وما لاقاه في حياته من عنتٍ وما قيل فيه، ثم ما كوفئ به بعد مماته مما يراه الأستاذ المحقق «شهادة التاريخ الحق»[2].

وتحدث عن معاداة ابن حزم للقياس مع تأليفه في المنطق، ورأى ذلك من نتائج منطقية ابن حزم، لأن القياس يقتضي معرفة العلة، والعلّةُ

---

(١) ملخص إبطال القياس، ص٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٠.

أو الحكمةُ في كثير من الأوامر والنواهي الشرعية مما استأثر به الله سبحانه، وأما العلة التي لا تتخلف فلا تكون إلا في الطبيعيات.

ووقف عند ظاهرية ابن حزم، ومزية رسالته، وتاريخها بين كتبه، وحكم بأنها مختصر مفيد جداً لما استفاض وانتشر في كتبه المختلفة[1].

ووصف المحقق النسخة الخطية، وعرض خطة نشرها أو منهجه في تحقيقها.

وأرّخ مقدمة التحقيق في شوال سنة (١٣٧٩هـ) ونيسان (١٩٦٠م)

وأما الرسالة فتبدأ بالحديث عن الخلاف ونشأة حدوث (الرأي) و(القياس) و(الاستحسان) و(التعليل) و(التقليد) عبر القرون، ويتخلل ذلك ذكر أمثلة يعرضها المؤلف ويناقشها، ويورد حجج أصحابها، ويرد عليهم مبطلاً ما يراه مخالفاً من آرائهم وأقيستهم وتعليلاتهم واستحسانهم وتقليدهم. منتهياً من رسالته إلى أنه «من المحال الباطل أن يكون الله يأمرنا بالقياس أو بالتعليل أو بالرأي أو بالتقليد ثم لا يبين لنا: ما القياس؟ وما التعليل؟ وما الرأي؟ وكيف يكون ذلك؟ وعلى أيِّ شيء نقيس؟ وبأي شيء نعلِّلُ؟ وبرأي مَنْ نقبلُ؟ ومن نقلّد؟... لأن هذا تكليف ما ليس في الوسع»[2].

ويلحق المحقق بالرسالة مسارد للآيات والأحاديث والأعلام من أفراد وجماعات وأماكن، ومسرداً للكتب، وآخر للموضوعات.

* * *

---

(١) ملخص إبطال القياس، ص١٥.

(٢) المصدر السابق، ص٧٣.

١٦ ـ من حاضر اللغة العربية

طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة
عام ١٩٦٢م

الكتاب مجموعةُ محاضراتٍ ألقاها المؤلف على طلبة معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة سنة (١٩٦١م). وقد جاء العنوان على صفحة غلاف الطبعة الأولى التي صدرت عن المعهد عام (١٩٦٢م). . (حاضر اللغة العربية في الشام) وفيه أنها محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية.

ثم حذف من العنوان في الطبعة الثانية قوله: «في الشام»، وجعله: «من حاضر اللغة العربية»، وهي الطبعة التي صدرت عام (١٩٧١م) عن دار الفكر في بيروت.

والكتابُ محاضراتٌ بسط فيها المؤلف حياة اللغة العربية في خمسين عاماً عاصرها بنفسه، وعرف معظم أحداثها ورجالها، تبدأ من العقد الثاني من القرن العشرين، وتنتهي بتاريخ تأليف الكتاب سنة (١٩٦١م).

وقد نبَّه أستاذنا ـ رحمه الله ـ في فاتحة كتابه على أمور هي:

١ ـ كل ما له دلالة فيه من الوقائع والأرقام لا أعنى به، إذ لا أؤرخ هنا أشخاصاً بل ظواهر عامة ونشاطاً ذا أثرٍ بعيدٍ.

٢ ـ إن النهضة العربية التي ستقرأ عن نشاطها في الآستانة ودمشق لم يستقل بها الشاميون، بل تعاون عليها معهم عراقيون ومصريون وليبيون وجزائريون ومغاربة... بل إنَّ العهد الفيصلي الذي قام في الشام سنة (١٩١٩م) أسهم فيه عراقيون وفلسطينيون ومغاربة وحجازيون، وبذلك تدرك سخف (الإقليمية) التي رمى بها الأجانب إلى من تلقَّفها عنهم...

٣ ـ جعلتُ على هذه المحاضرات عنوان (الشام)، لأن أكثر من نهضوا بها كان منها من جهة، لأني قصرتُ الكلام على حياة النهضة في الشام تسهيلاً للبحث، وسيشعر العراقي مثلاً أو التونسي أن هذه المظاهر التي أصفها في هذه المحاضرات إن لم تشبه ما جرى في بلده فهي لا تنأى عنه.

٤ ـ اسم (الشام) جرى في هذه المحاضرات على المعنى العلمي لهذه الكلمة، وعلى ما عرفه العرب قديماً وحديثاً، لا على المعنى الذي أراده (الجنرال غورو) الفرنسي، و(الجنرال اللنبي) الإنكليزي.

٥ ـ حيثما جاء اسم الأتراك فالمعنيُّ به **طغمة الحكام من أحزاب (جون ترك والاتحاديين)، ولا نعني بحال الشعب التركي.**

والمحاضرات عرضٌ تاريخيٌّ تحدَّثَ المؤلف في **الباب الأول** منه عن **حال اللغة والعلم في آخر العهد التركي**، وعن المدارس وأنواعها، وعن صراع اللغة العربية ومقاومة سياسة التتريك.

وتناول في الباب الثاني: **النشاط العربي في العهد الفيصلي** (٥/ ١٠/ ١٩١٨ ـ ٢٤/ ٧/ ١٩٢٠م) وما كان فيه من بعثٍ لروح العربية بين الجماهير، وفي إدارات الحكومة والجيش، وفي لغة الدواوين، وتأسيس المجمع العلمي العربي، ونشاط لجانه، وحركة التعليم في مستوياته (مراحله) المختلفة، محاولاً من خلال ذلك كله توضيح أهم دعائم

النهضة التي قامت على أسسها الدولة العربية. وبيان أن ذلك لم يقم به السوريون وحدهم بل شارك فيه عربٌ كثيرون من أقطار متعددة، وإنَّ دعامته الأولى كانت حمية قوية في تعلم اللغة العربية.

وكان **الباب الثالث للحديث عن اللغة العربية أيام الاحتلال الفرنسي** (٢٤/ ٧/ ١٩٢٠ ـ ١٩٤٥م) وفيه بسط المؤلف حديثاً مطوَّلاً عن صراع العربية ومُحبِّيها، وما قام في وجههم من دسائس الاستعمار الفرنسي وصنائعه، وعرض ما كان من ذلك في المدارس الابتدائية، ثم في ثانوية دمشق (مكتب عنبر)، وفي ميدان التعليم عامة.

وانتهى إلى فصل عقده للحديث عن عمل المجمع العلمي العربي في خدمة اللغة، وفصل الحديث عن تأسيسه ومراحله ونشاط الأوائل من أعضائه في التعريب والتأليف والمحاضرات والمقالات والمناظرات والمهرجانات.

ثم ألحق به فصلاً تحدث فيه عن العربية في الجامعة السورية (معهد الطب ومعهد الحقوق)، وعن نشاط القائمين على التدريس في تعريب التعليم الجامعي.

وأضاف بعد ذلك عوامل أخرى ساعدت على إحياء الفصحى؛ كالحفلات العامة والمظاهرات، وما كان يلقى فيها من خطب فصيحة، وأشعار بليغة، يسمعها الجمهور والعامة، ويتأثرون بها، وكالصحف والإذاعات العربية.

وختم الكتاب **بالباب الرابع** الذي جعل عنوانه: (مشكلات مزعومة) عرض فيه مشكلات (تباين العامية والفصحى) و(الحرف العربي) و(القواعد والإعراب)، وذكر مزاعم أصحابها وردّها مستعيناً بكثير من الأدلة والحجج، وأنهى الكتاب بكلمة عن مستقبل العربية في الشام.

ومن الجدير بالذكر أن الكتاب عامة مطبوع بطابع المؤلف ـ رحمه الله ـ في حبٍّ من يحب، وكره من يكره، وهو مخلصٌ للعربية في حبه وكرهه، وأنه بعد ذلك كتاب موثق بعد كل باب أو فصل من أبوابه وفصوله بنصوص معزوّة إلى مصادرها، وأن المؤلف لم يكتفِ بالمصادر المكتوبة التي وصلت إليه، بل كثيراً ما كان في الكتاب ينقل مشافهة عمَّن عاصرهم كالأستاذ محمد كرد علي، والأستاذ عز الدين التنوخي، والأستاذ رشدي الحكيم. . . وغيرهم رحمهم الله ورحم المؤلف.

وتجدر الإشارة إلى أنه أضيف في آخر الكتاب ملحقٌ أُثْبِتَتْ فيه كلمةُ الأستاذ الأفغاني التي ألقاها باسم الوفد السوري في مؤتمر تيسير النحو، الذي عُقد في كلية دار العلوم بالقاهرة من (٤ ـ ٩ شباط (فبراير) عام ١٩٦١م)، بعنوان: (نظرات في مشروع تيسير النحو).

* * *

١٧ ـ نظرات في اللغة عند ابن حزم

مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

حين كان الأستاذ الأفغاني عميداً لكلية الآداب في جامعة دمشق أوفد إلى إسبانية للمشاركة في مهرجانات الذكرى المئوية التاسعة لوفاة ابن حزم، ممثلاً لجامعة دمشق. فألقى في مدينة قرطبة تحية جامعة دمشق في مهرجان ابن حزم والشعر العربي[١].

ثم ألقى في الجلسة العلمية الأولى محاضرة عنوانها: (نظرات في اللغة عند ابن حزم)، تحدث فيها عن عناية الأندلسيين بعلوم اللغة، وعن نشأة ابن حزم اللغوية، وذكر آراءه في اللغة عامة، ورفضه الغلوّ والتعصّب[٢]، ثم انتقل إلى ذكر آراء ابن حزم في اللغة العربية وعلومها، وبيّن (ظاهريته) في فهم نصوصها، ورأى فيه عالماً اندثرت عنده عوامل العصبية والعواطف والأهواء. وتجمَّلت كتب الفقه بأسلوبه الواضح المشرق الذي يطالعه طالب الفقه بسهولة ولذة. وبيّن آراءه في وضع المصطلحات. وكشف عن فتح ابن حزم جبهة ثانية حين حمل على النحاة الذين يغوصون على ما لا نفع فيه، ولا يكتفون من النحو بما يكفي. ثم بيّن رأيه في اللغة والحاجة إليها، والمدى الذي تتحقق فيه تلك الحاجة[٣].

* * *

(١) نظرات في اللغة عند ابن حزم، ص٣.
(٢) المصدر السابق، ص٧.
(٣) المصدر السابق، ص٢٢.

١٨ ـ الموجز في قواعد اللغة العربية وفق منهاج الثقافة العامة في الجامعة اللبنانية

دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٠م

بحوث في قواعد اللغة العربية على ما قررها منهاج الجامعة اللبنانية، اقتصر المؤلف في كل بحث على ما لا يجمل بالطالب الجامعي جهله، وعُني بالشواهد بعض العناية، فألحق بكل بحثٍ شواهده منسوبةً إلى قائليها.

ويشتَمِلُ الكتاب على بحوثٍ في الأفعال والأسماء، وعلى بحوث صرفية، وبحوث عامة ـ كما قسّمها المنهاج اللبناني ـ.

والكتاب مشابه لما كان أستاذنا وضع من (مذكرات في قواعد اللغة العربية) وإنْ كان أكثر سعةً وتفصيلاً، لأن خطة المؤلف في المذكرات أن يترك شيئاً للطلاب في دمشق يحضّرونه بأنفسهم. أما في الموجز (اللبناني) فقد زادت البحوث على المذكرات الدمشقية، ثم لم يترك المؤلف منها شيئاً للطلاب يحضرونه؛ بل ذكر لهم كل ما يحتاجون إليه، فجاء الكتاب في (٣٦١) صفحة، مضمنة شواهد كلٍّ بحث بعقبه، وألحقت في آخر الكتاب قواعدُ كتابة الهمزة، والألف المتطرفة (٣٦٢ ـ ٣٧٠)، ثم مسارد الكتاب: مسرد أصحاب الشواهد، فمسرد بحوث الكتاب.

وطبع الكتاب أيضاً عام (١٩٧٠م) باسم: (الموجز في قواعد اللغة العربية وشواهدها وفق منهاج السنة الأولى في جامعات سورية ولبنان).

وتمتاز هذه الطبعة بمدخل تحدث فيه المؤلف عن الشواهد وقواعد الاحتجاج بها، وما يأخذ الدارس به نفسه من ضوابط المناقشة، وما ينبغي أن يقبل وأن يبنى عليه الحكم، وما ينبغي أن يُردّ. وفصّل الحديث عن خطته فقال: «جريت في تفصيل مواد الكتاب على خطة غير بعيدة فعُنيتُ بالشواهد، وانتقيتها بليغة من عيون كلام العرب في عصر السليقة، تنمية لملكة الدارس وتوسيعاً لآفاقه في إدراك أحوال أمته، لكون هذه الشواهد مصوِّرةً أحوال مجتمعات أصحابها أصدقَ تصوير، تصويراً لا نجده ـ بهذه الدقة والصفاء ـ حتى في كتب التاريخ نفسِها، وهي متى استُوعِبَتْ أعوَدُ على الملكات من كثير من القواعد المحفوظة والتعليلات المتكلفة. وجنّبتُ الدارس الأقوال المرجوحة والمذاهب الضعيفة، مختاراً ما ثبتت صحته على الامتحان»[١].

ثم ذكر ما أراد لكتابه من كونه كتاباً في النحو والصرف والإملاء فقال: «ثم رأيت ـ لطبعتنا الأخيرة هذه ـ الجمع بين مناهج الجامعات في الأقطار العربية، مع إضافة مباحث ناقصة لم ينص عليها المنهاج اللبناني مثلاً مع ضرورتها، مراعاةً لمناهج بقية الجامعات العربية، وليكون بيد المتعلم مرجعٌ متكامل في القواعد العربية (نحوها وصرفها وإملائها)، فلا يفقد فيه شيئاً ذا بال»[٢].

ويمتاز الكتاب في طبعاته جميعها بالتكثيف والتركيز والإيجاز والاقتصار على القواعد الأساسية، بعيداً عن أساليب القدماء في التطويل وإيراد الشبهات وردّها، وذكر الاعتراضات والشذوذ، فجاء الكتاب كما أراده المؤلف منسّقاً، سهل الأسلوب، يحظى الطالب منه بمادة العلم،

---

(١) الموجز في قواعد اللغة العربية، المقدمة.

(٢) المصدر السابق نفسه.

ويتذوَّقها بعد أن كان يشقى في الكتب القديمة باشتغاله بحلّ عبارة المؤلف عن هضم المادة نفسها.

ويرى أستاذنا أن يكون ذلك هو أسـلوبَ التأليف والتدريـس في السنتين الأُوليين من أقسام اللغة العربية، حتى إذا ملك الطالب مادة العلم وضعنـا بين يديه في السنتين الثالثة والرابعة ما شئنا من كتب القدمـاء. واختار لكل بحث عدداً من الشواهد ألحقها به، وإذا كان في أحدها لفظٌ غريبٌ شرحه في الحاشية.

* * *

١٩ ـ حُجَّةُ القراءات

لأبي زُرعة عبد الرحمن بن محمد بن زَنْجَلة

تحقيق: سعيد الأفغاني

ط١ في جامعة بنغازي سنة ١٩٧٤م.

مؤلف الحجة مِنْ رجال القرن الرابع، وممن قرأ على أحمد بن فارس صاحب (المقاييس) و(الصاحبي في فقه اللغة)، وهو قارئ وقاضٍ وفقيه مالكي.

وكتابُه (الحجَّة) مرتب على ترتيب السور في القرآن، وعلى ترتيب الآيات في السورة، إلا أنه يختصر فلا يقف إلا عند الآية التي اختُلفَ في قراءتها متجاوزاً ماعداها، ويذكر أبرز الحجج للقراءة المختارة مبيناً في حججه الجانب المعنوي، أو ما يتصل بالقراءة من لغة أو نحوٍ أو صرفٍ أو غير ذلك من روايات يحتجُّ بها. وهو كتاب مختصرٌ نافع.

وقد حققه أستاذنا، ومهّد له بمقدمة في القراءات وتاريخها، وشروطها أو ضوابطها المتفق عليها، وما ورد في ذلك من خلاف ورأي. وعرّف القراءة الشاذة، وعرض رأيه في الاحتجاج بالقراءات الشاذة ـ وهو الرأي الذي فصَّله في كتابه (في أصول النحو) ـ بعد أن عرض لكتب الاحتجاج للقراءات ومن ألّف فيه.

وأتبعَ ذلك تعريفاً موجزاً بالمؤلف أبي زُرعة وكتابه (الحجة)

ونسخه الخطية، وعرض منهجه في التحقيق، ثم انتقل إلى مدخل تحدَّثَ فيه عن أصحاب القراءات الأربع عشرة ورواتهم.

ومن الجدير بالذكر أن المحقق رحمه الله غلبت عليه نزعتُـه إلى التعليم، فوقف عند أمور نافعة تفيد من يطالع كتب القراءات، وتُنقذه من كثيـر من اللبـس، من ذلك تفسـير معنى (الحجة) في القراءة، ومعنى (الاختيار) في مقدمة تحقيقه، ومنه ما وضعه في بعض حواشيه شرحاً أو تعليقاً. وقد ألحق بالكتاب المسارد الفنية الضرورية.

زادت صفحات الكتاب على ثمانمئة صفحة، وطبع مرات كانت أولاها في جامعة بنغازي سنة (١٩٧٤م)، وكانت آخرها الطبعة الخامسة التي صدرت عام (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) عن مؤسسة الرسالة في بيروت.

* * *

٢٠ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب
لابن هشام الأنصاري

مراجعة: سعيد الأفغاني

ط١ دار الفكر بدمشق عام ١٩٦٣م.

ليس كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) للإمام النحوي ابن هشام من كتب النحو التقليدية كما يعرف المختصون، ولكنه من أنفس كتب النحو في بابه وأكثرها تفرداً، وأعودها نفعاً في موضوعاته ومنهجه.

وقد كان الأستاذ الأفغاني ـ رحمه الله ـ جعله الكتاب المقرر على طلاب السنتين الثانية والثالثة من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بالجامعة السورية (جامعة دمشق)، فقد كان أحد مؤسسي ذلك القسم يوم أنشئت كلية الآداب، وواضع منهج علوم اللغة العربية فيه.

وكنت واحداً من طلابه في ذلك القسم، درست عليه النحو في السنوات الثلاث في الكلية، وأما السنة الرابعة فكانت مخصصة للدراسات الأدبية، ولم يكن بين مقرراتها ـ يومذاك ـ مقرر من مقررات علوم اللغة العربية.

كان الأستاذ يُلقي علينا الدرس، ويطلب إلينا العودة إلى (المغني)؛ كان يلخص قواعد الدرس النظرية بإيجاز، ثم يمضي بقية الدرس في عرض الشواهد ومناقشتها وتطبيق قواعد الاحتجاج عليها. وكان يترك للطلاب قسماً من المقرر يدرسونه بأنفسهم، ويطالبون به في الامتحان مع ما قرره عليهم وشرحه لهم.

ولم تكن للمغني طبعة مشروحة تعين على فهمه؛ كان بعضنا يعتمد طبعة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، وكان كثيرون منا يعودون إلى طبعات المغني التي امتزج فيها وطبع على هامشها شرح أو تعليق للأمير أو الدماميني أو الدسوقي.

وقد كنت أجد الكثير من العَنَتِ والمشقة في المراجعة والدرس والتلخيص لسوء تلك الطبعات، وصعوبة التنقل في الموضع المطلوب بين المتن وشرحه، لذلك كان أول ما فكرت فيه حين عدت إلى التدريس في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق أن أهيئ طبعة مريحة للطلاب تغريهم بقراءتها وتريح عيونهم بحروفها.

بدأت العمل بوضع أنموذج محقق من المغني، ثم رحتُ إلى أستاذي الأفغاني أستشيره في العمل وجدواه، وما يتطلبه نص المغني من زيادات، ولم أطلعه على الأنموذج الذي صنعتُ، ففاجأني ـ رحمه الله ـ بأنه عمل منذ سنتين أنموذجاً كان يريد أن يخرج طبعة من المغني على منواله، وأضاف: ولكني توقفت، ووعدني بإطلاعي عليه.

اطلعتُ على الأنموذج الذي أعطاني ـ وكان عن (إنْ) المكسورة الخفيفة، ومازال الأنموذج عندي بخط يده ـ ثم عدتُ إليه بعد أيام لأقول له: إن هذا العمل إذا تمَّ، لن يكون كتابَ (مغني اللبيب) لابن هشام! قال: ما هو إذن؟ قلت: إنه (تلخيص المغني للأستاذ سعيد الأفغاني) فضحك، وقال: صحيح.

قلت له: لقد لخصت معاني الأداة، وذكرت لكل معنى شاهداً، ولكنك لم تأتِ فيه بأسلوب ابن هشام واستطراداته، وهو ما نريد أن يطلع عليه الطلاب، ليظلوا على صلةٍ بالأصول، وكل ما علينا هو أن نيسِّرَ لهم ذلك بوضوح الإخراج والتمييز بين الأقسام الكثيرة والتفريعات المتعددة وتفسير ما يحتاج إلى تفسير. فوافق على الفكرة، وقال: على بركة الله.

وشعرتُ بعدما بدأتُ العمل أنني لن أقوى عليه وحدي لطول الزمن الذي يستغرقه، فأنا أمضي أربع ساعات في تهيئة درسٍ واحدٍ ألقيه على الطلاب، فمن أين لي الوقت للعمل في كتاب ضخم كالمغني؟!.

لجأت إلى الأستاذ محمد علي حمد الله وعرضت عليه الفكرة، وطلبت إليه مشاركتي في العمل فوافق مشكوراً واقتسمنا العمل: أخرجُ النص، وأتمُّ ما فيه من آيات قرآنية، وأعزوها إلى أماكنها من السور في المصحف، وأخرج الأحاديث النبوية. وهو يقوم بتخريج الشواهد الشعرية، وعزوها إلى أصحابها ومصادرها.

وقبل أن ينتهي العمل اتفقنا على أن نطلب من أستاذنا الأفغاني أن يراجع عملنا، فوافق ـ رحمه الله ـ على أن نعرض عليه العمل مطبوعاً في تجربته المطبعية الثانية، لتكون المراجعة مريحة له، ولنستطيع إضافة ما يراه قبل دفع الكتاب إلى المطبعة في التجربة الثالثة والأخيرة.

وصدرت الطبعة الأولى من (المغني) بتحقيقنا ومراجعة الأستاذ الأفغاني عام (١٩٦٣م) في جزأين عن دار الفكر بدمشق.

ثم رأينا بعد ممارسة التدريس في طبعتنا أنها في حاجة إلى مزيد من العمل، فأنجزنا طبعة ثانية للكتاب قلنا في مقدمتها: «لسنا ندَّعي لعملنا الكمال، ولسنا نقول: إنه العمل الذي يستحقه كتاب (المغني)، بل نحن نقرّ بأن عملنا لم يتعدّ الغاية من طبعتنا، وهي إيجاد الكتاب في أيدي الراغبين»، ثم قلنا: إننا عدنا إلى النسخ المطبوعة وإلى ما وصلت إليه أيدينا من النسخ الخطية الجيدة، وأتممنا الآية، أو أتممنا ما يوضح الشاهد فيها. وخرّجنا شواهد الكتاب، وأتممنا ـ في الحواشي ـ أنصاف الأبيات، وفسّرنا ما اعتقدنا أن الطالب في حاجة إلى تفسيره من غريب ألفاظ الشواهد، وذكرنا ما كانت له رواية تبطل الاستشهاد به، وأعطينا لكل شاهد رقماً. ثم جعلنا الكتاب في مجلد واحد كما وضعه مؤلفه،

وجهدنا في أن نوضّح التقسيمات والتفريعات والاستطرادات التي يكثر ابن هشام منها عن طريق المغايرة في الحروف وحجمها، وعنينا بالمسارد الفنية العامة.

ثم عدنا إلى (المغني) مرة أخرى فأضفنا في طبعته الثالثة:

ـ إيضاحَ ما قدّرنا أنه يستغلق على الطالب.

ـ تخريجَ الأحاديث النبوية والأمثال.

ـ التعريف الموجز بالأعلام من أشخاص وكتب.

وكنا ندفع بذلك كله إلى أستاذنا الأفغاني ـ رحمه الله ـ فيراجعه المراجعة الأخيرة قبل دفعه إلى المطبعة.

* * *

ثانياً ـ البحوث والمقالات والأحاديث الإذاعية

١ ـ حافظ الإنسان:

مقال في سبع عشرة صفحة، تحدث فيه الأستاذ الأفغاني عن إنسانية الشاعر حافظ إبراهيم الذي أحبَّ شعره منذ صغره، لما رأى فيه من تصوير لآلام البائسين، وعرض مؤثر لشكاوى المظلومين، وتعزية للمفجوعين، وصرخة في وجوه الغاصبين. وعرض فيه بعض مواقفه الإنسانية، وأمثلة من شعره تشهد له بقوة إنسانيته، ورقَّة قلبه، وتأجُّج عاطفته إلى موهبة شعرية وبصيرة نافذة وإحساس سامٍ.

وقد نشر هذا المقال في الكتاب الذي أصدره الأستاذ أحمد عبيد بعنوان (ذكرى الشاعرين) عام (١٣٥١هـ)، وقام بتقديمه وترتيبه، وجمع فيه عدداً كبيراً من المقالات والدراسات والمراثي لكبار الكتاب والأدباء من معارف الشاعرين حافظ إبراهيم وأحمد شوقي وأصدقائهما والمعجبين بأدبهما، كما جمع فيه عدداً من القصائد التي لم تنشر من قبل لهما، ومما قيل في الشاعرين ورثائهما.

وقال عنه الأستاذ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ: «كتاب قيّم لم يصنع وفيٌّ لحافظ وشوقي مثله، جمع فيه ما كُتب عنهما وما قيلَ فيهما»[١].

---

(١) ذكريات: ٣/ ٨٨.

٢ ـ من وطنية حافظ وشوقي:

كيف ودّع الشاعران (اللورد كرومر):

وهو المقال الثاني الذي نشره الأستاذ الأفغاني في كتاب (ذكرى الشاعرين)[١].

استغرق المقال خمس عشرة صفحة، بدأ الكاتب فيه بتعريف (الوطنية) وتعريف (الشاعر)، وانتقل بعد ذلك إلى عرض موقف كلٍّ من الشاعرين حافظ وشوقي في وداع (اللورد كرومر)، فوازن بينهما، وقارن بين قصيدتيهما، وأبان عن محاسن كلٍّ منهما، ورجحت في ميزانه كفّة حافظ، ولكنه احترس فقال في آخر مقاله: إن هذا الحكم مقصورٌ عليهما حين نظما قصيدتيهما، وقد تغيّرا بعدما شاخا.

٣ ـ هل في النحو مذهب أندلسي؟:

بحثٌ في عشر صفحات (نشره معهد الدراسات الإسلامية في مدريد عام ١٩٥٩م)، استهلّه الأستاذ الأفغاني بالشك في صحة ما أطلقه المُحْدَثُون في النحو من قولهم: مذهب أو مدرسة بصرية وكوفية وبغدادية انسحاباً على أذيال القدماء الذين صنفوا في الطبقات، فقالوا: نحاة البصرة، ونحاة الكوفة، ونحاة بغداد، ونبّه إلى تأثر المحدثين بالقدماء في جعل البصريين أهل القياس والكوفيين أهل السماع، وانتهى إلى أن ذلك ليس دقيقاً، وأن الدقّة والإمعان في ألا يكون مذهب بصري يقابله مذهب كوفي، بل نزعة سماعية يقابلها نزعة قياسية يختلف حظّ كل منهما صحة وحالاً ومقداراً بين البلدين، بل بين نحاة كل بلد على حدة.

---

(١) انظر التعريف بالكتاب فيما سبق تحت عنوان: (حافظ الإنسان).

وسأل: هل نزعة الأندلسيين سماعية أو قياسية؟.

وأجاب بأن آراء الأندلسيين في جزئيات نحوية وردت في مطوّلات النحو ليس فيها ما يميزها أو يجعلها سمات مدرسة خاصة.

وردَّ على من عدَّ ابن مالك وأبا حيان ممثلين للنحو الأندلسي، وقال: إن نحو الرجلين نحوٌ مشرقيٌّ محضٌ. ولم يرَ في استشهاد ابن مالك وابن خروف بالحديث النبوي مذهباً أندلسياً، لأن كثيرين من قدماء المشارقة استشهدوا بالحديث.

ووقف الباحث بعد ذلك عند (ابن حزم) ونفيه للقياس في الشريعة، ورأى أنه لو قبل ذلك في النحو ـ وهو لا يُعقل لأن النحو قياسٌ ـ لكان ذلك تشريعاً لنحو جديد.

وعرض بعد ذلك لابن مضاء و(الرد على النحاة)، ورأى أنه أفاض في فلسفة لا طائل تحتها، وأن استضعاف العلل النحوية ليس عاماً ولا شاملاً لكل العلل، وأن ضعف بعضها قديم متعارف في المشرق، وأن الشك فيها ليس من صادرات الأندلس.

وانتهى الباحث إلى أن الوصول إلى شيء جديد نركن إليه موقوف على ظهور آثار جديدة. أما الآن فكيف ذلك، وقد أحصى الباحث في بغية الوعاة سبعمئة واثني عشر نحوياً أندلسياً، وهو عدد يساوي ثلث عدد النحاة في العالم الإسلامي كله. ومازالت آثارُهم مجهولةً لم نعرف منها إلا عشرة كتب من عدة آلاف.

٤ ـ الشيخ أحمد النويلاتي والخبازون:

مقال نشر في جريدة العَلَم بدمشق في ٢١/ ٧/ ١٩٦١م. وكان قد أُذيع بعنوان (رغيف ومصلح) أو (مصلح فقدناه) من إذاعة دمشق في

١٢/ ٧/ ١٩٦١م، وهو مقال نقدي يتناول ما وصل إليه الرغيف من سوء في رائحته واختماره ونضجه، ويقارنُه بما كان عليه قبل ثلاثين عاماً.

وينقل صورة عما كان عليه المسجد الأموي وحلقات الدروس والوعظ فيه، وكيف كان صوتَ دمشق ومرآتها في ثورتها، وفي نشر العلم فيها. ويقف عند حلقة الشيخ أحمد النويلاتي، فيصفه، ويذكر أنه كان يحضر حلقته ـ وهو في سن الطفولة ـ وأنه أفادَ منها ما لم يستفد من جامعةٍ ولا كتابٍ في نواحٍ عمليةٍ، أهمها الحذرُ من أرباب الصناعات وغشهم وفضح أساليبهم، ويفصّل بيانَ ذلك في أمثلة عملية ذكرها الشيخ تناول فيها غش اللحامين وغيرهم من البائعين وأصحاب الصناعات، وقال: «وأحسبُ لو أرادَ مستمعٌ لدروسه أن يفرد منها أساليب غِشّ الصناعات في دمشق لتمّ له تأليفُ مجلدٍ كامل»، وتحدث عن أساليب الغش في الموازين والمكاييل، وقال عن الشيخ: إن سياطه في ظهور الدجّالين من المنتسبين إلى الدين أو الوطنيـة كانت أوجع وآلم، وأثره كان أبعدَ في تنوير أذهان العامـة والخاصة.

٥ ـ البحتري بين طنجة وأَدِنْبَرة:

حديثٌ إذاعيٌ كتب عليه (٢٣/ ٩/ ١٩٦١ الساعة ٢٢).

كُلِّف الأستاذ إعداده بمناسبة أسبوع البحتري، فترك نفسه على سجيتها، واستطرد استطرادات جعلت العنوان يطلق على ما تحته لأدنى ملابسة ـ كما قال هو نفسُه عن حديثه ـ[1] فجاء في الحديث ذكر للبحتري وما تذكره أستاذنا من شعره في سينيته المشهورة، وداليّته التي يُطري فيها دمشق وداريا وبردى.. ثم استطرد إلى ذكر (إسعاف النشاشيبي)، ثم ذكر

---

(١) وهذا يذكرنا بأسلوب الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى، وهذا من أوجه الشبه بين الصديقين إذا تحدثا على سجيتهما. (الناشر)

حادثة طريفة جرت له مع (طه حسين). . وتلك الحادثة ذكّرته بما وقع له في أدنبرة، فذكره، ثم انتقل إلى طنجة، فحدث بما جرى له فيها. . . وانتهى إلى أن في حياة الإنسان لمحات يشعر فيها بوحدة البشرية، ويؤمن بأن الألوان والألسن والأجناس ليست أكثر من تصنيف شكلي، وأن العبرة هي بما وراء هذه المظاهر من سموّ ونبل وخير ومحبّة، فحيث وجدت فثمَّة الحضارة الأصيلة. . .

٦ ـ الشيخ محمد عبده، خواطر عنه:

حديث إذاعي كتب على هامشه (٥/ ٣/ ١٩٦٢ الساعة ١٠ مساءً)، يتناول الأستاذ الأفغاني فيه اختلاف الآراء حول الشيخ محمد عبده، ثم يستعرض حياته منذ طفولته، واتصاله بعد ذلك بجمال الدين الأفغاني، وتأثره به. ويذكر أثر الشيخ محمد عبده في النهضة العصرية في مصر، سواءٌ في الحياة التعليمية، أو في الإصلاح الديني والتعليم الأزهري ومناهجه، ويذكر امتداد أثره إلى نخبة من تلاميذه، وكانوا هم فيما بعد أقطاب مصر والشام.

٧ ـ علم لا سياسة:

يبدو أنه حديث أعدّ للإذاعة سجل عليه تاريخ ٢٧/ ٨/ ١٩٦٢م، يتحدث الأستاذ الأفغاني فيه بمناسبة مناقشة (قانون الأحزاب) عن انشغال محترفي السياسة في الحديث عن القانون ومناقشته، ويقول: إن رجال الفكر الخالص يرون أمام أعينهم صوراً متلاحقة المآسي في تاريخنا القديم والحديث. ثم يستعرض الصراع الحزبي في تاريخ العرب والمسلمين منذ أواخر أيام الخليفة الشهيد عثمان بن عفان إلى العصر الحديث، مبيناً آثار الحزبية والتحزُّب قائلاً: «أنا لا أُدلي برأيي في قانون الأحزاب المعروض، فهذا يتعلق بالسياسة من جهة، ولأن إعطاء رأي فيه يتضمن الموافقة على الحزبية من جهة ثانية، وإنما أعرض واقع التاريخ الحديث في الموضوع،

وما جرّته الحزبية على البلاد من البلاء في الأخلاق والوطنية والظلم وسوء تربية الجماهير، وتفتيت الصف.

٨ ـ درس من الأندلس:

حديث إذاعي سُجّل عليه تاريخ ٢٣/ ٦/ ١٩٦٣م.

لخص فيه أستاذنا العبر المستفادة من دولة قامت على سواعد ثُلَّةٍ من الرجال العظام بُناة الدول، الذين خلفهم قومٌ غرقوا في النعيم، وصار كل ذي نزوة يحدث نفسه بالسلطان، ويتقوى عليه بالعدو المتربص فعمَّت الفتن، ووقع الإدبار، وتعددت دول الطوائف، وكثرت الألقاب في غير موضعها.. وانتهى الأمر إلى ضياع الملك وضياع الأندلس.

وقد وقف على قبر ملك من الملوك الذين تحالفوا مع الإسبان، وكان أحجاراً مبعثرة في متربة لا أثر فيها لقبر.. وقال: «زرتُه فرثيتُ له، ثم رضيتُ له بهذا المصير، لأن الذي يستعين بعدوّه على قومه ليس أهلاً لرثاءٍ ولا رحمةٍ، فلقد أضاع بنزواته وأهوائه دماء عشرات المسلمين، فحقَّ على الله أن يضيعه في الدنيا، وهو في الآخرة أشد ضياعاً».

٩ ـ تاريخ مفترى:

يبدو أنه حديث إذاعي لأن الأستاذ الأفغاني كتب على هامشه مساء (١/ ٩/ ١٩٦٣)، وهو يتناول فيه الظلم الذي حاق بـ(السلطان عبد الحميد) وما قام به (الأتراك الاتحاديون) و(يهود الدونمة) من تشويه لسيرته، وتزييف لحقائق التاريخ، وأن ذلك كله إنما انكشف حديثاً بفضل النكبة الكبرى التي حلَّت في فلسطين، ويسلسل الأستاذ الأفغاني بعد ذلك أحداث التاريخ مفصَّلة متتابعة، وانتهى إلى أن **اليهودية العالمية لا تريد أن يكون حول الدولة التي أقامتها استقرارٌ ولا ازدهارٌ**، ويقول للمستمع: **«استعن بمثل هذا المفتاح على فهم حاضرك، وألقِ عنك الخرافات**

والافتراءات اليهودية التي مازالت تسمى عند كثير من أنصاف المتعلمين تاريخاً. بل سلَّط هذا الكشّاف على كل فتنة وكل ضرر يحلان في أرضٍ عربية مهما حملت من التضليل الخادع، فكلما وجدت تهديماً ففتش ثمة عن اليهودية، ولا تخدعنَّك عناوين ولا تماثيل، وانظر إلى حقيقة الأفعال لا إلى زائف الشعارات، فما أكثر ما لبست الرذيلة اليهودية الممزقة في كل بلد ثياب مقدساته، لتخدع الأغرار، فهدموا هم بنيانهم، وهم يظنون أنهم يبنون».

١٠ ـ (صانعو التاريخ العربي) كتاب لفيليب حِتِّي:

بحثٌ نشر في (مجلة كلية الآداب) بجامعة بنغازي (العدد ٦ سنة ١٩٧٤م)، تناول الأستاذ الأفغاني فيه كتاب (صانعو التاريخ العربي) للدكتور فيليب حتي، وترجمة الدكتور أنيس فريحة.

ووقف عند أمور عرضها المؤلف، فناقشها، ورأى صاحبها **خاضعاً لآثار كنسيّة وصليبية واستعمارية عملت بدافع الحقد والعداوة للعرب والمسلمين على تزييف الوقائع واختراعها، ورأى الباحث أن المؤلف زجَّ بكلمة التاريخ في عنوان الكتاب، والكتاب في حقيقته (انطباعات عن عظماء العرب) وأن ترجمته زادته إساءةً لما اتصفت به من ركاكة وسقم في اللغة..**

١١ ـ معاوية في الأساطير:

بحث في اثنتين وعشرين صفحة، ألقاه أستاذنا في ٢٤/ ٤/ ١٩٧٤؛ في (المؤتمر الدولي لتاريخ الشام) الذي عقد في عمّان من ٢٠ ـ ٢٥/ ٤/ ١٩٧٤م. تحدّث فيه عن تصوير الأساطير والأحلام والقصص والخرافات التي تشيع بين العامة لما يعجز التاريخ عن وصفه من الحركات

الشعبية وخلجات النفس، وتقفنا على منازع العامة وأهوائهم ورغباتهم. وتناول (الأحاديث الموضوعة) في تأييد مُلك معاوية وبني أمية أو في الطعن عليهم. وأخرج ثلاثة أصناف من الروايات المتصلة بمعاوية:

الصنف الأول: ما فيه دعاء الرسول ﷺ له.

والثاني: ما فيه الثناء عليه، وتبشيره بالجنة.

والثالث: فيه جمع ما لا يخطر على بال من الغلوّ والإغراق، **وهذا الصنف هو موضوع البحث**..

وانتهى إلى أن هذا الركام من المغيّبات بدأ خبراً ذا زوائد، عن حادث وقع، ثم أضاف إليها الرأي العام مع الزمن ما غمره من شعور نحوه، ومن رغبات يتمنى لو وقعت، وأمور يتمنى لو لم تقع، ثم صهر ذلك كله في بوتقة المغيبات خادعاً نفسه أن ذلك سيقع!.

ودعا إلى دراسة هذه الأخبار لما فيها من دلالة على نفسية المجتمع، وقال: **إن الأساطير مصدرٌ يجب أن يبحث فيها بعناية، وأن تستنطق بحذق وحيطة وإحكام**.

١٢ ـ الاحتجاج للقراءات:

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجلد ٣٤ عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ص٦٥

يبدأ المقال بعرض تاريخي للقراءات، ومعنى المتواترة والشاذة، وأقوال العلماء في ذلك، وما ألفوا فيه، ثم يعرض لموضوع الاحتجاج بالقراءات، مؤكداً ما سبق أن ذكره ودعا إليه في كتابه (في أصول النحو) في مبحث **الاحتجاج**، وخلاصته: أن تأليف المؤلفين القدماء يحتجون للقراءات المتواترة بالنحو عكسٌ للوضع الصحيح، وأن السلامة في المنهج

والسداد في المنطق العلمي التاريخي يقضيان بأن يُحتج للنحو ومذاهبه وشواهده بهذه القراءات المتواترة . . . » .

ويقول : «إن هذه العناية البالغة في تحري القراءات يحمل اللغويين على العض عليها بالنواجذ، وبالاحتجاج بها، وتحكيمها في القواعد إذ أتيح لها من الضبط ما لم يتح للشعر ولا للنثر، ولئن طرح القراء القراءات الشاذة لمخالفتها الرسم العثماني إن على اللغوي أن يتمسك بها كل التمسك متى صحَّ سندُها إلى عربيٍّ سليم السليقة في عصور الاحتجاج .

١٣ ـ تصحيح الأصول:

بحث في سبع صفحات، ألقاه الأستاذ الأفغاني في الجلسة السادسة لمؤتمر الدورة الأربعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في ٣/ ٣/ ١٩٧٤م . ونشر في مجموعة بحوث المؤتمر .

ويدعو الأستاذ في هذا البحث إلى دراسة علمية للشواهد تستتبع حذف كل قاعدة لا مؤيد لها إلا الشاهد المصنوع أو المحرّف أو النادر .

ويقول : «إن المنهج السليم للقواعد أن تُبنى على الأكثر الأشيع من الفصيح» .

ويرى أن النحويين واللغويين لم يدرسوا الرواة وأحوالهم، ومَنْ منهم الثقة الضابط، ومن الوضّاع المخلّط دراسة كافية، فلم نعرف عن طبقات رواة اللغة بقدر ما عرفنا عن طبقات المحدِّثين، ولا حظي فن الرواية اللغوية ببعض ما حظي به فن رواية الحديث .

ويرى أن النحاة لم يحققوا كثيراً من النصوص التي بنوا عليها، لا سنداً ولا متناً .

وضرب مثلاً على ذلك شاهداً تناقله النحاة وبنوا عليه، وبيّن أنه لا أصل له .

وختم بحثه بالدعوة إلى الأخذ بمنهج المحدثين في تحرير نصوصنا اللغوية، ورأى أن ذلك سيقودنا إلى طرح نتوءات ودمامل وانتفاخات وأوراماً تعبث هنا وهناك في قواعدنا، لتصبح أرشق قواماً، وأجمل هنداماً، وأقوى إحكاماً وانسجاماً[١].

١٤ ـ البناء على الشاهد الأبتر:

بحث ألقاه الأستاذ الأفغاني في المؤتمر الحادي والأربعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ونشره في مجلة (كلية الآداب) بجامعة بنغازي في ليبية[٢].

تحدث في أوله عن الحرص على توثيق النصوص التي تستنبط منها الأحكام، وأنه لا يلجأ إلى النص الناقص إلا أولو الأهواء والأهداف الشريرة، ممن يسوّغ لنفسه هذه الخيانة والتزييف، ثم ضرب أمثلة من رجال أمناء صادقين حدَّثوا بما سمعوا، وغاب عنهم من الحديث أوله أو آخره. ورأى أن النحاة في طليعة مَنْ يجب عليهم استيفاء أجزاء الشاهد، وعدم اقتطاعه من علائقه.

وقال: «وندت حالات قليلة تسارعوا فيها إلى إظهار مهاراتهم في التعليل والتخريج والتسويغ، صناعةً شغفوا بها شغفاً صرفهم في بعض الأحيان عن امتحان الأساس، فكان بناء الأحكام على الشواهد الناقصة خللاً في العلم والمنهج معاً».

ثم نبّه على أن هذه الظاهرة في نحونا قليلة جداً، وأن نحونا كالبنيان الشامخ المتقن لا يغير من جلالته عثور باحث فاحص على غبار تراكم على

---

(١) انظر ما جاء في مقالة (البناء على الشاهد الأبتر). (الناشر)

(٢) العدد السابع، سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

باب، أو صدأ على حديد، ولكن التنبيه على ذلك داعية لإزالة العيب، وتأكيد لجلال البنيان.

وعرض بعد ذلك أربعة أمثلة استقاها من كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام لإقامة الدليل على ما ذهب إليه، وختم البحث بقوله: «إن بعض علمائنا كانوا أسرع إلى الاستنباط والاستنجاد بالصناعة والتخريج والتماس الوجوه منهم إلى التثبت من صحة النص وتمامه. وهذا التثبت هو الخطوة الأولى قبل الاستنباط من النص والبناء عليه».

١٥ ـ العمل فيما له روايتان من الشواهد اللغوية:

بحث في اثنتي عشرة صفحة ألقاه الأستاذ الأفغاني في الدورة الثانية والأربعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في ٢٨/ ٢/ ١٩٧٦، وحدد إطار بحثه بقوله: «وبحثي هذا قاصر على ما ثبتت له روايتان من الشواهد اللغوية، وليس ذلك على إطلاقه، لأن أمره يطول، ولكن سأعالج حالة واحدة من حالات عدة، هي التي يبنى فيها على إحدى الروايتين حكمٌ يؤثر في اطراد القاعدة أو سلامتها».

وحدد منهجه فقال: «لا نستشهد بما روي بالمعنى، لأن صناعتنا لفظية، إلا إذا كان الراوي نفسه ممن يحتجُّ به لسلامة بيئته لغوياً، وسلامة سليقته هو نفسه.

وظاهرٌ أن الرواية الضعيفة سنداً، أو المحرفة، أو الشاهد الأبتر، أو المجهول القائل، كل ذلك لا يدخل في موضوعنا، إذ هو بموضوع (تحرير الأصول) ألصق. وسأستبعد كل ما فيه روايتان صحيحتان فأكثر، ولم يبن على واحدة منها حكم يمس القواعد المطردة.

سنبقى إذاً حيال شواهد ذات روايتين لم نجد سبيلاً إلى توهين

إحداهما من حيث السند، لكنها تقتضينا إضافة قاعدة أو استثناء أو تعديلاً لقاعدة».

ثم عرض نماذج من الشواهد التي ينطبق عليها ما سبق وصفُه، وطبّق المنهج الذي حدده، وناقشها، وانتهى إلى أنه «**إذا سلمت روايتان فأكثر لنصٍّ لغوي، إحداهُما تخالف القانون الأشيع للعرب في كلامها، وتقتضي تعديلاً أو استثناءً في القاعدة، أهملناها، وأخذنا بالرواية الموافقة للمطرد من القواعد**».

١٦ ـ محنة إلى زوال:

بحث في اثنتي عشرة صفحة، أُلقي في الدورة الثالثة والأربعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتاريخ ٢٥/ ٢/ ١٩٧٧م.

تحدث الأستاذ الأفغاني في هذا البحث عن العهد العربي عقب الحرب العالمية الأولى في الشام، وعمّا أعقبه من احتلال أجنبي، مفصّلاً أحداث الصراع التي كانت توجه إلى مقومات الأمة، وهي عقيدتُها الجامعة، ولغتُها الواحدة، وثقافتها الأصيلة..

ووقف عند كثير من مقدمات الغزو أو طلائعه التي كانت تسبقه وتمهد له تحت أسماء كثيرة... وجعل بحثه مقصوراً على ما يتصل بالجانب اللغوي والثقافي، فتحدث عن الدعوات الهدّامة في مجال اللغة، ووقف عند الدعوة إلى العامّيات، وإلى الكتابة بالحرف اللاتيني.. وادعاء صعوبة القواعد العربية، فعرض أقوال أصحابها وناقشها، وردَّ عليها، وفضح أغراض أصحابها.

١٧ ـ جهود المجمع العلمي الأول في خدمة العربية في الشام:
مجلة مجمع القاهرة مجلد ٣٩ (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ص٢٧:

يحدد الأستاذ في أول مقالته ما يريده من قوله: المجمع العلمي

الأول، فيذكر في الحاشية أنه المجمع الذي عاش خمس عشرة سنة (١٩١٩ ـ ١٩٣٤م) حياة حميدة، كلُّها إنتاجٌ وخيرٌ، وهو المجمع الذي أُلغي زمن الاحتلال لأسباب ـ زعموا ـ مالية. والثاني يبدأ سنة (١٩٤١م). والثالث يبدأ بعد وفاة مؤسس المجمع الأول الأستاذ محمد كردعلي سنة (١٩٥٣م)، ثم يصبح فرعاً لمجمع اللغة العربية في القاهرة ويحمل اسمه منذ (١٩٦٠م)، وهو مغايرٌ كلَّ المغايرة للمجمع الأول.

المقال عن المجمع الأول الذي ألغي سنة (١٩٣٤م).

وهو إشادة بجهود المجمعيين الأوائل، وفضلهم في تثبيت العربية ونشرها، ووضع ألفاظ جديدة. ويتحدث عن اللجنة التي أُلِّفت برئاسة ياسين باشا الهاشمي وعضوية رشيد بقدونس ومراد الاختيار وعبد القادر المبارك؛ لوضع جميع ما يحتاجُ إليه الجيش من إيعازات ومصطلحات فنية، وقامت بعملها خير قيام.

وعن اللجنة التي ألفها الحاكم العسكري رضا باشا الركابي في (٢٨/ ١١/ ١٩١٨م)، وسمّاها (الشعبة الأولى للترجمة والتأليف)، مهمتها التعريب ونشر العربية في الدواوين وبين الموظفين، وهي التي سميت فيما بعد بـ(ديوان المعارف)، وأُسندت رياسته إلى الأستاذ محمد كردعلي في (١٢/ ٢/ ١٩١٩م).

أرّخ الأفغاني الجهود الأولى في:

١ ـ تعريب المصطلحات.

٢ ـ النظر في لغة الكتب المدرسية.

٣ ـ المحاضرات العامة للجمهور.

٤ ـ تصحيح الأخطاء الشائعة في الكتب.

٥ ـ الإعداد لمعجمات فنية خاصة.

وفصَّل الحديث في كل من هذه الميادين على حدة.

١٨ ـ من قصة العامية في الشام:

بحثٌ نشره أستاذُنا في مجلة مجمع القاهرة، الجزء ٤١ (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ضمن بحوث مؤتمر الدورة الرابعة والأربعين، وفيه حديث عن تطور العاميّة واستمرار قربها من الفصحى على لسان عامة الناس بفضل الغُيُر من العاملين في خدمة العربية ونشرها.

١٩ ـ آخر ساجع في الشام:

مقال نشره في مجلة مجمع القاهرة، الجزء ٤٣ (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص٩٠، تحدث فيه عن السجع ومكانته في أذواق الناس قديماً وحديثاً، وهو مقالٌ طريفٌ، يصف الأستاذ فيه بعض ما مرَّ به في مجالس علماء دمشق وأدبائها، وما كان من ذلك بين (الأمير شكيب أرسلان) و(الأستاذ محمد كردعلي)، ثم يقف عند أديب مهجري هو الأستاذ (نظير زيتون) وسجعاته السهلة السائغة المطربة... وهو آخر ساجع يمثل ظاهرة أدبية فذَّة في الربع الثالث من هذا القرن (مات نظير زيتون في ٢٢/ ٧/ ٦٧).

٢٠ ـ تعريف ونقد: (معاني القرآن) للأخفش الأوسط، تحقيق د.فائز فارس:

عرّف الأستاذ الأفغاني بالكتاب، وتابع عمل المحقق فيه، وعلّق عليه، ونبّه على ما أخذه عليه.

نشر المقال في الجزء (٤٦) من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (ذو الحجة ١٤٠٠هـ/ نوفمبر ١٩٨٠م)، ص١٨٨.

٢١ ـ من غرائب الأساليب:

مقالة نُشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٤٧

(رجب ١٤١١هـ/ مايو ١٩٨١م) تحدث الأستاذ الأفغاني فيها عن أسلوب غريب في التعبير اتبعه أو أتى به مؤلف كتاب (جبر القيمة) صاحب اللغة العجيبة! . ولم يذكر الأستاذ الأفغاني اسم مؤلف الكتاب .

وكتاب (جبر القيمة) صدر بدمشق عام (١٩٤٩م) للأستاذ عبد الحكيم مراد .

٢٢ ـ مع الأخفش الأوسط في كتابه (معاني القرآن):

بحث تتبع فيه الكاتب أقوال الأخفش في مواضع من كتابه، وناقشها وعلّق عليها .

ونشر البحث في الجزء (٤٨) من مجلة مجمع القاهرة، (المحرّم ١٤٠٢هـ/ نوفمبر ١٩٨١م)، ص٢١٢ .

٢٣ ـ الخط الحديدي الحجازي بين يأس وأمل:

مقالٌ في سبع صفحات، عرض الأستاذ الأفغاني فيه قصة الخط الحديدي الحجازي عرضاً موثقاً من مصادره الرسمية، وتحدث عن منافعه، وما يقدمه للعرب والمسلمين في سورية والأردن والمملكة العربية السعودية، ولحجاج الشرق الإسلامي وشماليه وغربيه أحياناً من تسهيلات اقتصادية واجتماعية، وبين مراحل العمل في هذا المشروع العظيم، وفضح الذين كانوا وما يزالون خلف تعطيله وتعويقه .

إنها قصة قارب عمرُها نصف قرن، وصدرت فيها أنظمة وقوانين ذكرها الكاتب من مصادرها وبتفصيلاتها . . ثم ختم مقاله التاريخي بقوله: «اجتمعت اللجنة بعد اطلاعها على الدراسة، في آذار سنة (١٩٨١م)، واتخذت قراراً بأن ينفّذ هذه الدراسة كلٌّ في أرضه وعلى نفقته!! فرجعنا إلى ما كنا عليه في سنة (١٩٤٧م) وأضفنا دليلاً جديداً على كروية الأرض، فقد أتممنا الدورة في (٣٤) عاماً رجعنا بعدها إلى نقطة

الانطلاق. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] صدق الله العظيم.

وقد نشر هذا المقال في مجلة (العربي) العدد (٢٨٠) مارس (١٩٨٢م)، بعنوان (قصة الخط الحديدي الحجازي لم تتم فصولاً)، وأما العنوان المدون أعلاه فقد بقي في مسوّدة المقال في مكتبة الأستاذ الأفغاني رحمه الله.

٢٤ ـ لغة الخبر الصحفي:

مقالةٌ نشرت ضمن بحوث مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (الجزء ٥١، شعبان ١٤٠٣هـ/ مايو ١٩٨٣م)، تحدث الأستاذ الأفغاني فيها عن لغة الأخبار في الصحافة، وصحَّح أخطاء لغوية تكرّر نشرها، وأذاعتها وسائلُ الإعلام.

٢٥ ـ مزاعم الصعوبة في لغتنا:

بحثٌ نشر ضمن بحوث العيد الخمسيني لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (الجزء ٥٣، جمادى الأولى ١٤٠٤هـ/ فبراير (شباط) ١٩٨٤م).

تناول الباحثُ فيه مزاعمَ الصعوبة التي تمثلت في: الحرف العربي، والازدواج بين العامية والفصحى، وصعوبة القواعد العربية.

وأوردَ الشبهات والمزاعمَ مفصلةً في كلٍّ من تلك الموضوعات وردّ عليها.

٢٦ ـ ثلاث كلمات للاستعمال العام:

مقالة نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الجزء ٥٤، شعبان ١٤٠٤هـ/ مايو ١٩٨٤م) تناول الأستاذ الأفغاني فيها ثلاث كلمات؛ هي (الغوغاء) و(الطَّغام) و(الرعاع)، واقترح استعمال مصادرها الصناعية التي هي (الغوغائية) و(الطغاميّة) و(الرعاعيّة).

٢٧ ـ (إلا) في القرآن الكريم:

بحثٌ يتصل بقول النحاة أو مصطلحهم (الاستثناء المنقطع)، تتبع الأستاذ فيه استعمال (إلا) في القرآن الكريم، وناقش النحاة فيما ذهبوا إليه.

نُشر في مجلة مجمع القاهرة ضمن بحوثِ مؤتمر الدورة الواحدة والخمسين (الجزء ٥٦، شعبان ١٤٠٥هـ/ مايو (أيار) ١٩٨٥م).

٢٨ ـ الدكتور سبح والمعهد الطبي العربي:

انتخب مجمع اللغة العربية في القاهرة عام (١٩٧٠م) الأستاذ الأفغاني عضواً مراسلاً، وفي عام (١٩٩٠م) انتخبه عضواً عاملاً في المحل الذي خلا بوفاة الدكتور حسني سبح[1]، وكلّفه إلقاء كلمة عن زميله الراحل. وكانت كلمة بعنوان (الدكتور سبح والمعهد الطبي العربي)، ألقاها في الجلسة السابعة للمؤتمر السنوي السابع والخمسين للمجمع بتاريخ (٢ شعبان ١٤١١هـ ـ ١٧/ ٢/ ١٩٩١م).

عرض الأستاذ الأفغاني في كلمته تاريخ المعهد الطبي العربي بدمشق منذ تأسيسه، لأنه يرى أن تاريخ الدكتور سبح هو تاريخ ذلك المعهد، وتحدث عن المؤسسات التي كانت للدكتور سبح فيها جهودٌ بارزة؛ مثل كلية الطب في الجامعة السورية، وما بذل فيها الدكتور سبح من جهود في ميدان التعريب، ومثل مؤسسة مستشفى المواساة. وبيّن أن الأستاذ سبح كان أحدَ السواعدِ الفعالة التي قامت عليها النهضة اللغوية العربية في مؤسسات التعليم العالي في بلاد الشام.

وتحدث عن أخلاق الدكتور سبح وإنسانيته وتواضعه والتزامه

---

(١) الدكتور حسني سبح كان رئيساً لمجمع اللغة العربية بدمشق، وعضواً في مجمع القاهرة، توفي بدمشق في ٣١/ ١٢/ ١٩٨٦م.

جدول أعماله اليومي بدقّة وانتظام، مما ساعده على القيام بواجباته جميعاً على كثرتها، ثم عدد ما قام به الدكتور سبح من أعمال وما ترك من آثار.

٢٩ ـ وثيقة وعبرتها، (الأمير شكيب أرسلان والشيخ رشيد رضا):

مقالتان نشرتا في مجلة (دعوة الحق) بالرباط[1].

بدأت المقالة الأولى بالتعريف بالأمير شكيب أرسلان، والثناء على جهاده في سبيل العرب والمسلمين، وإصداره مجلة الأمة العربية التي كانت تصدر بالفرنسية في سويسرة حيث كان يقيم.

ووقف الكاتب عند جهاده السياسي وصلابته، وموقفه المتميز من الدولة العثمانية التي انحاز كثيرٌ من العرب إلى الفرنسيين والإنكليز والدونمة لتحطيمها، وإثارة الصحف ضده.. وهو يكافح ويناضل ويبعث بالرسائل إلى الصحف والمجلات العربية والأجنبية، ويكتب إلى من يتوسَّم فيهم الخير، محذّراً ومنبهاً، حتى بلغ عدد ما كتبه من الرسائل في عام واحد (١٧٨١) رسالة، ومن المقالات (١٧٦) مقالة، و(١١٠٠) صفحة مطبوعة في كتب.

أما الوثيقة المشار إليها في العنوان؛ فهي رسالة الأمير شكيب إلى (السعيد) ـ المرجّح أنه أمين السعيد، الصحفي السوري ـ وهي تتحدث عن غدر الإنكليز، وخيبة أمل السذج الذين صدقوا وعودهم.

وتعرض الكاتب في المقالة الثانية للشيخ محمد رشيد رضا، مبرزاً صورة (الشيخ) الذي يعمل في السياسة، أو تستغله الحزبية. ورأى أن مَنْ **آتاه الله علماً خليقٌ أن يبقى حيث وضعه الله مناراً يهدي، وداعياً يحذّر،**

---

(١) انظر (دعوة الحق) السنة (١٥)، المحرّم ١٣٩٢هـ/ مارس (أيار) ١٩٩٢م.

وأباً يحنو على البارّ يثبته، وعلى العاقّ يردّه إلى الصواب. وقال: إن بيعَ الدين بالدنيا هو الذي أضعف هيبة الشرع في النفوس وأضاع رجاله. . .

٣٠ ـ حياة كلمة:

في قول سائر بين المحصّلين: «زلَّة العالِم زلة العالَم».

مقالٌ في ست صفحات، يحقق الأستاذ الأفغاني ـ رحمه الله ـ فيه كلمة (أخصّائي) ويلاحقها في معجمات العربية قديمها وحديثها، ويناقش نقول أصحابها، وينتهي إلى أن الاختصاصي والمختص والمتخصص والمُخِصّ والإخصاصي، كلها صحيحة فصيحة، أما (الأخصائي) فخطأ فاحش قبيح.

وقد نشر هذا المقال في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الجزء ٧٤، جمادى الآخرة ١٤١٤هـ/ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٣م). وفي حاشيته أنه بحثٌ ألقي في الجلسة الخامسة للمؤتمر، في يوم السبت ٢٧ من شهر رجب ١٤١٢هـ، الموافق الأول من فبراير (شباط) ١٩٩٢م.

٣١ ـ خاطرة من سيرة علي بن أبي طالب:

حديث إذاعي في سبع صفحات أعده الأستاذ ليذاع في رمضان، كما يدل عليه قوله: «ورمضان أيها المستمعون الكرام واحةُ الروح. .» وقوله: «موضوعُ حديث الليلة عن واحد من هؤلاء العظماء الصالحين».

والحديث عرض لمواقف من سيرة الإمام الراشد، تثبت أنه «الرجل الذي امتحنته الدنيا بكل مغرياتها، فذلَّت مغرياتها تحت قدميه، ثم حطَّت عليه بكل بلاياها ومضايقاتها لتزيحه شعرة عن صلابته في الحق، فخسئت البلايا والمضايقات ولم يتزحزح، وبقي عليٌّ بن أبي طالب علماً من أشمخ المعالم في تاريخ الإنسانية، مثلاً أعلى للحاكمين الذين لا يعيشون لأنفسهم، وإنما يعيشون للخير العام، والفضيلة الخالصة، والمُثل

الرفيعة النبيلة، هازئاً بكل المرغّبات والمرهّبات، التي تقوم أعذاراً لكبار الرجال حين يميل في يدهم الميزان».

ويختم الأستاذ حديثه بقوله: «إن سيرة هذا الراعي العظيم تملأ النفس إيماناً وطمأنينة وحفزاً إلى التسامي، وتنعش الروح، وتشحنها بالقوة، فتقتحم ميادين الخير قوية مؤمنة. وهكذا يكون المثال الذي تقدمه سير العظماء أجدى بكثير من عشرات الصحف حكماً ومواعظ.

رحم الله عليّاً أميرَ المؤمنين، ورضي عنه في العلماء الزاهدين، والحكّام العادلين، والمجاهدين الصابرين، والمؤمنين الصادقين».

وليس في المقال ما يدل على إذاعته أو تاريخه.

* * *

الخاتمة

وبعد، فتلك هي آثار أستاذي سعيد الأفغاني رحمه الله، بذلتُ الجهدَ في تتبعها، سواء أكانت كتباً محققة أو مؤلفة، أم بحوثاً ومقالات نُشرت أو لم تنشر، أم أحاديث أُذيعت. ولا أكتم أنني لا أستطيع الجزم بأني أتيتُ بكل آثاره. وإذا كنتُ استقصيت الكتب المحققة والمؤلفة، فإني لا أشك أنه فاتني بعض ما كتب من بحوث ومقالات وما أذيع من أحاديث.

وما وقفت عليه لخصته أو عرّفت به، ودللت على مكان نشره وتاريخه.

ولكم كنتُ أتمنى أن يكون ما جمعته مستوعباً لكل ما كتب، فكلُّ ما كتبه كان عِلماً نافعاً ونقداً هادفاً، وكل ما كتبه مفيدٌ ممتع. رحمه الله وأجزل ثوابه.

على أني رأيت أن أضيف إلى ما قدمتُ فهرساً بمواضع كلماته في بعض المجلات، مما لم أذكره مستقلاً في آثاره، ذلك أنه رحمه الله كان ذا نشاط جمّ؛ يؤلف ويحقق ويدرّس، ويشارك في الكتابة في الصحف والمجلات، وفي الأحاديث الإذاعية. وقد كتب عدداً كبيراً من المقالات والتعليقات والكلمات الموجزة المفيدة في مجلات كثيرة، وقفت على بعضها، ولم أعثر على بعضها الآخر، أعانتني على ذلك الفهارس التي وضعها الأستاذ عمر رضا كحالة رحمه الله، والفهارس الموثَّقة التي

صنعها الأخ الدكتـور مطيع الحافظ، حفظه الله، لنفسه، وأطلعني عليها مشكوراً. ورأيت أن أضع ما عرفته منها بين أيدي القراء عامة وطلاب الدراسات العليا خاصة، لعل بعضهم ينهض بكتابة رسالة للماجستير أو الدكتوراه عن الأستاذ الأفغاني وجهوده في خدمة الثقافة العربية عامـة واللغة العربية خاصة.

لقد قضى الرجل عمره في التدريس في مدارس الشام وجامعتها وفي جامعات عربية أخرى غيرها، وفي خدمة اللغة العربية، وتخرجت به أجيال لا تزال تذكر فضله وعلمه، وتشكر أياديه عليها، ثم مضى إلى ربه لم يأخذ من دنياه شيئاً! فلم تطلق الجامعة اسمه على قاعة من قاعات التدريس فيها، ولم تودّعه يوم أحيل إلى التقاعد وانتهت خدمته، ومضى ولم يُقم أحدٌ له حفل تأبين، وقد صنع كل ذلك لمن هم مثله أو دونه، ولا أذكر أنه تلقى في حياته كلمة شكر من مسؤول، باستثناء تقرير رفعه المفتش الأستاذ (شكري الشربجي) رحمه الله، إلى وزارة المعارف على أثر حضوره درساً للأستاذ الأفغاني في (٢٠ نيسان ١٩٣٨م). وشهادة تقدير منحتها وزارة التعليم العالي لكل من الأساتذة سعيد الأفغاني ومازن المبارك وعاصم البيطار بمناسبة انعقاد ندوة النحـو والصرف في جامعـة دمشـق عام (١٩٩٤م)، تقديراً لجهودهم في خدمة اللغة العربية. فلا أقلَّ أن يضطلع بعبءِ الكتابة عن الأستاذ الأفغاني وجهوده في خدمة اللغة العربية واحدٌ من طلابه، أو طلاب طلابه من أقسام الدراسات العليا، ففي ذلك وفاءٌ له، وخدمة للعربية.

وفيما يلي ثبتٌ بالفهرس بعد أن عدتُ إلى المواضع التي ذكرت فيه[1]، وأضفتُ بإزاء كلٍّ رقم الموضوعَ الذي يخصّه، وتاريخ صدور

---

(١) الفهارس التي صنعها الأستاذ كحّالة مطبوعة، وأما فهارس الأستاذ الحافظ فهي=

العدد الذي كتب فيه:

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ وكان اسمها: **مجلة المجمع العلمي العربي**[1] ـ:

ـ المجلد ١٤ : ١/ ١٤٧ ـ ١٥١ (كانون الثاني وشباط ١٩٣٦م).

(كلمة حياد): يردّ الأستاذ الأفغاني فيها على ما كتبه (مارون غصن) عن (النحت وسيلة لتوسيع اللغة)، ويعلّق على رد كلٍّ من الأستاذين سليم الجندي والمستشرق كرنكو على المقال نفسه.

ـ المجلد ١٥ : ١، ٢/ ٧٨ ـ ٨٢ (كانون الثاني وشباط ١٩٣٧م).

(كافور وسيف الدولة في نظر الحق والتاريخ): يعلق الأستاذ الأفغاني في هذا المقال على ما كتبه الأستاذ (أحمد رضا) تحت عنوان (الطموح عند المتنبي)، ويردُّ الأحكام التي أطلقها في ذمِّ كافور الإخشيدي والثناء على سيف الدولة الحمداني ويثبت عكسها!.

ـ المجلد ١٦ : ٣، ٤/ ٣١٣ ـ ٣١٤ (آذار ونيسان ١٩٣٧م).

رجاء توجّه به الأستاذ الأفغاني إلى علماء العربية والاستشراق يسأل فيه عن معنى (بيع السّرار).

ـ المجلد ١٦ : ٣، ٤/ ٤٨٨ ـ ٤٩٢ (آذار ونيسان ١٩٣٧م).

كلمةٌ في تقريظ كتاب (ابن عبد ربه وعقده) لجبرائيل سليمان

= خطيّة، وهي كلها فهارس لمواضع ذكر الأعلام في المجلة دون ذكر للموضوعات.

(١) مجلة المجمع بدمشق أنشئت عام (١٣٣٩هـ) الموافق لعام (١٩٢١م)، وكانت شهرية تصدر في غرة كل شهر، ثم أصبحت فصلية تصدر أربعة أعداد في السنة.

جبور، وهي كلمة نقدية في حسنات الكتاب وعيوبه وتصحيح غلطاته.

ـ المجلد ١٦: ١، ٢/ ١٣٣ ـ ١٣٧ (كانون الثاني وشباط ١٩٤١م)[١].

تقريظ كتاب (نبذة العصر في أخبار بني نصر) بتحقيق الأستاذ ألفريد البستاني، والتعليق عليه وتصحيح ما وقع فيه من خطأ.

ـ المجلد ١٦: ١، ٢/ ٢٣٥ـ٢٣٧ (كانون الثاني وشباط ١٩٤١م).

كلمة عن كتاب (الذخيرة لابن بسام) وتصحيح لبعض ما وقع فيه من الخطأ.

ـ المجلد ١٦: ١، ٢/ ٢٦٩ـ٢٧٨ (كانون الثاني وشباط ١٩٤١م).

كلمة عن كتاب (رحلة الوزير في افتكاك الأسير)، تأليف الوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني، وتحقيق ألفريد البستاني، يلخص الكاتب فيها الكتاب ويعلق عليه، ويذكر مآخذه على التحقيق.

ـ المجلد ١٦: ١، ٢/ ٣٣٥ـ٣٣٦.

استدراك ورجاءٌ حول كتاب (الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة) الذي عني الأستاذ الأفغاني بنشره.

ـ المجلد ١٦: ٨/ ٣٧١ـ٣٧٥ (آب ١٩٤١م).

تعريف بالعدد التاسع من (عيون الأدب الغربي)، وهي سلسلة

---

(١) يدل التاريخ المسجل على المجلة أن الجزأين ١، ٢ صدرا بعد الجزأين ٣، ٤ بأربع سنوات! والأجزاء كلها من المجلد (١٦)، فلعل خطأ وقع في التجزئة أو التاريخ! وكانت المجلة قد توقفت عام (١٩٣٨م) ثم استأنفت الصدور بالمجلد (١٦) عام (١٩٤١م).

عنيت لجنة التأليف والترجمة والنشر بترجمتها، تأليف ج. لويس دكنسن، وترجمة الأستاذ محمد رفعة، وفيه حديث عن الكتاب ومضمونه وأسلوبِه وبعض ما وقع فيه من هفوات.

ـ المجلد ١٦ : ٨/ ٣٨٧ ـ ٤٠٧ (آب ١٩٤١م).

ترجمة ابن حزم في سير النبلاء.

ـ والمجلد ١٦ : ١٠/ ٤٣٣ ـ ٤٤٩ (تشرين الأول ١٩٤١م).

تتمة لترجمة ابن حزم في سير النبلاء (وهي الترجمة التي عني الأستاذ الأفغاني بنشرها في كتاب مستقل).

ـ المجلد ١٧ : ١، ٢/ ١٩٠ ـ ١٩١ (كانون الثاني وشباط ١٩٤٢م).

تعليق على كتاب (الإمتاع والمؤانسة) للتوحيدي، الذي نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ـ المجلد ١٧ : ١، ٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٧ (كانون الثاني وشباط ١٩٤٢م).

ردّ على ناقد كتب عن نشرة الأستاذ الأفغاني لكتاب (الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة).

ـ المجلد ١٧ : ١، ٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ (كانون الثاني وشباط ١٩٤٢م).

ملاحظات لغوية على مقال للكرملي.

ـ المجلد ١٩ : ١، ٢/ ١٨٨ ـ ١٩١ (كانون الثاني وشباط ١٩٤٤م).

(في النقد اللغوي)، كلمة عنوانها (مسائل ثلاث): ردّ فيها الأستاذ الأفغاني على أجوبة الأب أنستاس الكرملي الذي كتب في نقد ثلاث مسائل، ورأى أستاذنا أن الكرملي أخطأ فيها أشدَّ الخطأ.

ـ المجلد ٢٦ : ١/ ١٥٦ (كانون الثاني ١٩٥١م).

كلمةٌ موجزة يذكر الأستاذ الأفغاني فيها بتواضع العالم موافقته على تصحيح خطأ وقع في نشرته لكتاب (تاريخ داريا)، ونبّهه عليه المستشرق كرنكو.

- المجلد ٢٩ : ١/ ١٥٥ - ١٥٧ (كانون الثاني ١٩٥٤م).

ردٌّ حول تصحيح بعض المواضع في كتاب (تاريخ داريا).

- المجلد ٤٤ : ١، ٢/ ٩١٣ - ٩٢٤ (كانون الثاني ١٩٦٩م).

وهو عدد خاص أصدره المجمع بمناسبة انقضاء خمسين سنة على تأسيسه. كتب الأستاذ الأفغاني فيه مقالاً عن كتاب (المعجم العربي) للدكتور حسين نصّار.

- المجلد ٤٩ : ١/ ٦٥٨ - ٦٦١ (كانون الثاني ١٩٧٤م).

كلمة عن قصيدة (الواعظ الأندلسي) في مناقب السيدة عائشة، وأسبقية نشرها.

مجلة التمدن الإسلامي[1].

- السنة ٤، الجزء ١٠ (ذو الحجة ١٣٥٧هـ).

(صفحة مطويّة من صفحات التمدُّن الإسلامي).

---

(١) (مجلة التمدن الإسلامي): مجلة إسلامية علمية أدبية شهرية كانت تصدرها جمعية التمدن الإسلامي بدمشق. صدر العدد الأول منها سنة (١٣٥٤هـ) الموافق لسنة (١٩٣٥م)، وكان يرأس تحريرها الأستاذ الفاضل أحمد مظهر العظمة رحمه الله تعالى، وقد فاتني تتبع مقالات الأستاذ الأفغاني في المجلة لفقد بعض أعدادها في المجموعات التي وقفتُ عليها في المكتبات العامة والخاصة.

كلمة كتبها الأستاذ الأفغاني بمناسبة نشر جمعية التمدن الإسلامي لكتاب (البيمارستانات في الإسلام) للطبيب أحمد عيسى.

- السنة ٥، الجزء ٤، ٥، ٦ (١٣٥٨هـ).

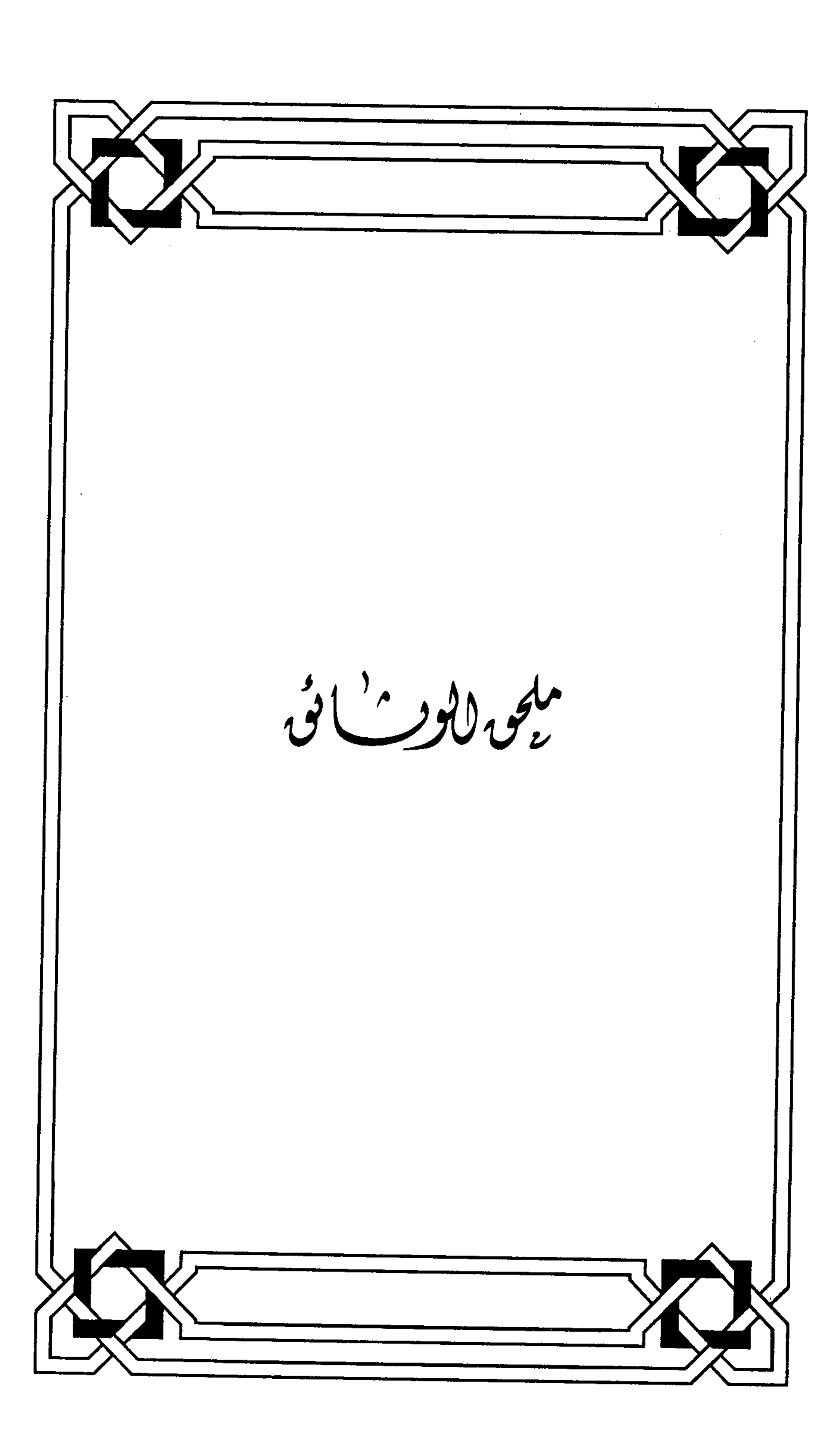
مقالاتٌ عن الإمام بدر الدين الزركشي. وهو الذي نشر له الأستاذ الأفغاني كتابه (الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة).

- السنة ٦، الجزء ١ (١٣٥٩هـ).

(الظاهرية وابن حزم)، وهو الذي نشر الأستاذ الأفغاني ترجمته من سير النبلاء، وحقق بعض رسائله التي تحدثنا عنها في آثاره.

* * *





ملحق الوثائق



الملحق رقم (١)



الملحق رقم (٢)



الجامعة السورية

شهادة مدرسة الأدب العليا

توقيع الطالب

مدير مدرسة الأدب العليا

رئيس الجامعة السورية

RÉPUBLIQUE SYRIENNE

UNIVERSITÉ SYRIENNE

DIPLOME DE L'ECOLE SUPERIEURE DES LETTRES

DAMAS دمشق

شهادة مدرسة الأدب العليا

الملحق رقم (٣)

MINISTÈRE DE L'INSTRUCTION PUBLIQUE ENSEIGNEMENT SECONDAIRE *Lycée* .... *Ecole*	**لائحة التفتيش** بيان حال الموظف **Notice individuelle**	وزارة المعارف التعليم الثانوي مدرسة التجارة

Année 19   19   ١٩   ١٩ سنة

Nom et prénoms du fonctionnaire (En gros caractères)	اسم الموظف وكنيته سعيد الأفغاني
Adresse	عنوانه معلم متدرب لتدريس اللغة العربية في مدرسة التجارة بدمشق
Né le .... à	تاريخ ومحل الولادة دمشق ١٩٠٩
Date de la nomination	تاريخ تعيينه في المعارف [illegible]
Fonction actuelle dans l'établissement	الوظيفة الحالية معلم [illegible]
Fonctions et indemnités accessoires dans l'établissement	العمل الاضافي (ساعات اضافية) ....
Fonctions rétribuées hors de l'établissement	عمله خارج المدرسة ....

Nombre des élèves		عدد تلاميذه	Nombre des heures de service		عدد ساعات الموظف
	classe de .... الصف			classe de .... الصف	
	classe de .... الصف			classe de .... الصف	
	classe de .... الصف			classe de .... الصف	

Grades et titres Universitaires	الشهادات المدرسية التي يحملها [illegible]
Titres et travaux scientifiques et littéraires	تآليفه العلمية والادبية ....

بيان خدماته لغاية ٣١ كانون الاول من السنة الحالية

Etat des Services

رغبات الموظف VŒUX DU FONCTIONNAIRE	رأي المفتش العام في هذه الرغبات Avis de l'Inspecteur Général au sujet de ces vœux

برنامج ساعات الموظف EMPLOI DU TEMPS DU FONCTIONNAIRE	برنامج المسابقات والوظائف Horaire des devoirs et des Compositions

اقتراحات عامة
Notes et propositions

تقدير عام Appréciation générale	- ان السيد [illegible] استاذ شاب فعال ونشيط جداً خبرته قليلة عندما كان تلميذاً بدار المعلمين [illegible] اذ كان من ابرز بين اقرانه في اللغة العربية التي يدرسها الان في المدارس التي [illegible] بصورة [illegible] وكان درسه بصورة عامة مستوجباً للتقدير والاعجاب.
تدريس الاستاذ وطريقته Leçon vue — Méthode et procédés —	موضوع الدرس: - حضرت درس يوم الاربعاء الواقع ١٠ نيسان [illegible] في الصف الثاني التجاري وكان موضوع الدرس في القراءة والمطالعة [illegible]. هيئة الاستاذ والطلاب: - ان هيئة الاستاذ في الصف حسنة جداً وكذلك صحة الطلاب فهم [illegible] الاستاذ [illegible] حسن وهذا امر طبيعي نظراً لعددهم الذي لا يتجاوز [illegible] الطلبة. [illegible] على عكس ما هو عليه في [illegible] المدارس [illegible] والاكتظاظ التي [illegible] في صفوف [illegible] عدد الطلاب غير الطبيعي.
اعمال التلاميذ Travaux des élèves	مادة الاستاذ العلمية: - ان مادة الاستاذ العلمية [illegible] جيدة جداً لذلك [illegible] بالجد في التدريس كما انه سيكون بلا جدال من احسن الاساتذة في اللغة العربية [illegible]. طريقة الاستاذ في تدريسه: - كان الاستاذ يقتصر في درسه هذا على استعمال الطريقة الاستجوابية فكان يسأل الطلاب الواحد تلو الآخر عن معنى النص وتفسير الكلمات الغامضة [illegible] [illegible] كانت [illegible] [illegible] [illegible] هذه اللغة.

تاريخ التفتيش ١٠ نيسان [illegible]

Date de l'inspection

في ....

Le ....

[illegible]

الملحق رقم (٤)

جامعة فؤاد الاول

كلية الآداب

مذكرة بحالة الطالب سعيد الافغاني

تقدم الطالب سعيد الافغاني عضو البعثة السورية للالتحاق بكلية الآداب للتحضير لدرجة الدكتوراه

وقد عرضت اوراقه على لجنة المعادلات وقررت في ٩ ديسمبر ١٩٤٦ ما يأتي "

١ ـ ان يؤدى امتحانا معادلا لليسانس في الفارسية والتركية او السريانية والعبرية وامتحانا معادلا في اللغة الانجليزية كلغة اوربية ثانية .

٢ ـ اذا نجح تقدر اثاره لقياسها للماجستير .

وقد وافق مجلس الكلية بجلسة ٢٧ يناير سنة ٩٤٧ ومجلس الجامعة بجلسة ٢٩ يناير ٩٤٧ على ذلك

وقد ادى الطالب الامتحانات في اللغتين التركية والفارسية وفي اللغة الانجليزية كلغة اوربية ثانية ونجح في هذه الامتحانات .

وقرر قسم اللغة العربية ان ابحاثه تعادل الماجستير وتعفي الطالب بعد معادلة الليسانس عن التحضير للماجستير ويمكن قيده للتحضير للدكتوراه ووافق على ذلك مجلس الكلية بجلسة ٦ من يناير ٤٨

وبناء على ذلك وافقت الجامعة بتاريخ ٢٥ يناير سنة ٩٤٨ على قيده للتحضير لدرجة الدكتوراه في الآداب (قسم اللغة العربية) من العام الدراسي ٤٧/ ٩٤٨

عميد كلية الآداب

في ٢٨/ ١/ ١٩٤٨ التوقيع "

صورة طبق الاصل

مذكرة بحالة الطالب سعيد الأفغاني

الملحق رقم (٥)

كلية الآداب

صادر من

المرجو عند الرد ذكر هذا الرقم

بشأن قيد الطالب السورى سعيد الافغانى للتحضير لدرجة دكتور فى الآداب

الجيزة فى ٢٥/٣ سنة ١٣٦ (سنة ١٩٤٨)

عدد المرفقات

حضرة صاحب العزة عميد كلية الآداب

بناء على ما جاء بكتاب الكلية رقم ١٥١٥ فى ٢٥ الجارى وموافقة مجلس الجامعة فى ٢٩/٣/١٩٤٧ . أتشرف باخبار عزتكم أنه أشر بقيد الطالب السورى سعيد الأفغانى للتحضير لدرجة دكتور فى الآداب " قسم اللغة العربية " ابتداء من العام الدراسى الحاضر ٤٧/٩٤٨ لنجاحه فى الامتحانات التى سبق أن قررها مجلس الجامعة فى جلسته المشار اليها .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ....

السكرتير العام

١٤٥٨
٢٨/١/١٩٤٦

صورة مبلغة لحضرة سعيد أفندى الافغانى للعلم وتسديد الرسوم المقررة وقدرها ٣,٢٥٠ ....

عميد كلية الآداب

قيده لدرجة الدكتوراه

الملحق رقم (٦)

جامعة فؤاد الأول
كلية الآداب

١٩ /٦/ ١٩٤٨

حضرة سعيد الافغاني بك

ردا على الطلب المقدم منك برغبتك فى تسجيل موضوعك لدرجة ~~الماجستير~~ الدكتوراه أبلغكم
أن مجلس الكلية قرر بجلسته المنعقدة فى ٦/٦/١٩٤٨ أن يكون
" الأدب والسياسة فى الشام حتى منتصف القرن الثانى "
موضوعا لك لهذه الدرجة تحت اشراف الاستاذ امين الخولى
على أن يكون امتحانك التحريرى لهذه الدرجة هو "
فنرجوك سرعة سداد مبلغ ـــــ ملـيم جـنيـه قيمة الرسوم المستحقة عليك
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام "

عميد كلية الآداب

وثيقة تسجيل الدكتوراه في جامعة فؤاد الأول



الفهرس

